روايات عبير

صراع مع المجهول

www.rewity.com/vb
سنو وايت

Frances
DALTON

N°551

روايات عبير

حاول "بيتر" أن يغرق أحزانه طوال السهرة . إنه يتحرق شوقاً أن يعترف لـ "أليشيا" ولكنه تراجع .

سألته "أليشيا" :

- أنت لست غاضباً مني على الأقل يا "بيتر" ؟

- لا على الإطلاق بل بالعكس أوافقها على قرارها .

- لقد إطمأن قلبي . إنها في حاجة لك الآن تعرف أنك تساندها وستقف لمساعدتها في تلك الأزمة التي تمر بها .

- هل يمكنني الحضور ؟

- إنها نائمة في هذه اللحظة ولكن إن كنت تريد الحضور حوالي الساعة التاسعة فستكون مستيقظة .

www.rewity.com/vb
ريويت

ISBN 9953-414-52-1
9 789953 414522

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٤ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢,٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

الغلاف الأمامي

تعمل "اليشيا" مساعدة مديرة لدار أزياء ناجحة، وهي أرملة ولديها طفلان. تمنحها مديرة الشركة إجازة ثمانية أيام لتقضيها في فيلا تملكها، وعندما تصل إلى الفيلا مع طفليها تهب عاصفة شديدة تؤدي إلى انقطاع التيار الكهربائي، وتجد نفسها عاجزة بمفردها مع طفليها.

يهب جارها -وهو صاحب شركة ملاحة في الفضاء- إلى نجدتها؛ ونظرا لتعذر الإقامة في الفيلا -نظرا للخسائر الشديدة التي لحقت بها- تقبل دعوة جارها "بيتر" للإقامة عنده حتى يتم إصلاح الفيلا.

يقع كل منهما في غرام الآخر، ولكن هناك ظروف تمنع ارتباطهما ارتباطا دائما، ويجري صراع شديد ضد تلك الظروف.

فهل ينتصر الحب؟

شخصيات الرواية

"اليشيا روسيل": مساعدة مديرة دار أزياء راقية.. أرملة وتعول طفلين.

"بيتر رينولدز": صاحب شركة تعمل في مجال الفضاء، وهو مطلق ولديه ابنة في الحادية والعشرين.

"ديفيد" و"آدم روسيل": ولدا "اليشيا روسيل".

"جيم روسيل": زوج "اليشيا" المتوفى.

"كارول رينولدز": ابنة "بيتر رينولدز".

دكتور "فرانك بندكت": جراح تجميل وصديق "بيتر".

الفصل الأول

لم يكن يتوقع هذا المشهد. فمن خلال باب القيلا الموارب ميز بوضوح ظهر امرأة مستديرة مكورة. كانت الغريبة واقفة منحنية، وترتدي شورتا من الجينز حائل اللون، وكانت ساقاها الرفيعتان الطويلتان تظهران وسط العتمة.

كانت تفتش في علبة أدوات وعدد موضوعة على الأرض ولكن بحثها لم يسفر عن شيء. وكانت منفعلة بحركاتها الصغيرة المتعة في الحقيقة لم يستطع الرجل أن يخفي ابتسامته. بالتأكيد أحس ببعض العار أن يتلصص دون أن يظهر. ولكن المشهد كان يستحق

كان المطر يهطل مدرارا ولكنه كان محتميا بشرفة البيت. وكان البرق [illegible] في السماء، ويضيء القيلا على فترات. كانت المرأة مغطاة [illegible] المصباح الكهربائي

[illegible] صبيان صغيران بجوارها وأمطراها بالأسئلة.

[illegible] سنأكل قريبا؟ أنا جائع وأنت قلت إننا سنأكل فور وصولنا إلى [illegible] هل سنتعشى بسرعة يا أمي؟

سأل الصبي الآخر:

- هل سبق أن أصلحت المقابس؟ وهل تعتقدين أنك ستصلحينها؟

سقط رأس الشابة بين كتفيها في إحباط ثم استأنفت البحث وقالت

- لقد سبق أن أصلحت المقابس، وفور عثوري على مقبس سليم سأصلح التيار وسرعان ما تعود الكهرباء. بعدها سنفرغ السيارة ونتعشى

تاوه طفل قائلا:

- لقد قلت إن القيلا كانت مريحة ولكنها تفوح رطوبة ولا يوجد كهرباء. كان من الأفضل لو أحضرنا خياما.

كرر أصغر الطفلين:

- نعم. خيام.

لم يستطع الرجل المتخفي أن يقرر الظهور بعد. إنه يستمتع بمشاهدة المرأة المجهولة وهي نافدة الصبر. ولكنه أحس بالشفقة على مصير الطفلين الصغيرين وهما غارقان في الظلام والجوع.

كان قد لمح -من بضع دقائق- من ثيلته الواقعة على بعد ثلاثمائة متر- كشافات سيارة تخترق الليل. من يمكن أن يغامر بالسير في هذه العاصفة العنيفة؟

كان الفضول قد دفعه -رغم العاصفة التي تخترق العظام- إلى قطع المسافة التي تفصل بين البيتين، ولم يندم على قراره: إن هذه المرأة المسكينة في حاجة إلى معونة ومع ذلك لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يظل يتأمل دون أي ملاحظة من أحد

شاهد هذه المرأة النشيطة الحائرة وحيدة في بيت بلا أنوار ولا يساعدها سوى أنين طفليها.

- أمي. ومع ذلك قلت إننا سنتمتع هنا في الخيام.

- أنا جائع يا أمي. أنا جائع يا أمي

فجأة فاض الكيل بالمرأة. جلست القرفصاء ووضعت يديها في وسطها ووجهت الكلام بعنف للطفلين

- اخرسا.. لقد فاض بي.. هل تسمعان؟ كفا عن عوائكما! لقد أقرضونا هذه الفيلا بدافع الرقة واللطف. ثم إننا لا نمتلك خيمة.

وفكرت: إنها فكرة جيدة أن نستغلها!

ثمانية أيام في الهواء الطلق! ولا أستطيع أن أفعل شيئا مادامت العاصفة هبت والكهرباء انقطعت. انا ابذل كل ما في وسعي لإصلاح الخسائر فكفا إذن عن الاحتجاج!

سكت الطفلان. شاهداها وهي تبحث بهمة في صندوق العدد. ثم سألها الاكبر -الذي لا يزيد سنه على ست سنوات- في حذر:

- هل تعتقدين أنك تستطيعين إصلاحها؟

- لا... هل تستطيع أنت؟

- لا يا أمي.

وقنها رأى الرجل الخفي أن من الأفضل أن يتدخل. لقد انتظر أكثر من اللازم. إن يأس هذه الأم التعسة سرى عنه مشاكله الخاصة ثم ليس من الكياسة أن يتركها تتخبط وتصارع دون أن يقدم لها النجدة. وليس من اللياقة أيضا أن يتلكأ ليعجب بجسدها المشوق.

- أمي.. يوجد رجل بالخارج!

فزعت الشابة وكان من الواضح أنها مرعوبة:

- رجل؟ أين؟

بسرعة، وخوفا من مضاعفة الخوف الذي سببه لها أضاء الرجل كشافه البطارية ووجهه نحو المجموعة المرعوبة في البهو. كانت المرأة لاتزال جالسة القرفصاء ولكنها التفتت نحوه. ظهر وسط بؤرة الضوء عدنان زرقاوان وسط هالة من الشعر.

كانت "اليشيا روسيل" خائفة، وكان قلبها يدق بشدة: إن جسد هذا الرجل الذي يسد فتحة الباب لايوحي بالاطمئنان. أسقطت مصباحها الكهربي وضمت ولديها إليها وقد توترت أعصابها واستعدت لمواجهة المجهول.

دفع الباب ودخل. صدمت دفعة قوية من الهواء ضلفة الباب بالإطار

كان المطر الرهيب يصدر ضجة فظيعة على الشرفة ومع ذلك لم تنجح تلك الضجة في تغطية صيحة رعب "اليشيا".

قال الرجل بصوت حاول أن يكون مهدئا:

- أنا لا أريد أن أخيفكم وإنما فقط مساعدتكم.

أطفأ مصباحه وغرقت الحجرة في الظلام.

صاحت المرأة في شجاعة:

- لست في حاجة إلى شيء.

كانت تموت رعبا وأكثر ما كانت تخشاه هو أن يهاجم الولدين. ولكن ماذا لو أراد الاعتداء عليهما هي. يجب إبعاد الطفلين في الحال وبسرعة. ماذا تفعل؟ تمنت فقط لو عاد التيار الكهربائي.

حاول الطفلان أن يحدقا في وجه ذلك الغريب. لم يخطر على بالهما أن هذا الرجل يمكن أن يكون خطيرا بل على العكس فكرا في أنه قد يقدم مساعدة ممتازة.

أعلن الطفل الأكبر:

- أنا اسمي "ديفيد" وأخي اسمه "آدم". وأنا الأكبر في السن.

قال الرجل بصوت دافئ ودود:

- مرحبا! أنا اسمي "بيتر".

انتاب "اليشيا" شعور بأنه يبتسم ولكن كيف تكون رأيا عن هذا الدخيل المقتحم؟ إنها لا تميزه إلا لحظات خاطفة على ضوء البرق الذي يضيء الغرفة.

قال "ديفيد":

- علينا أن نعسكر في هذه الفيلا لمدة أسبوع. هذا هو المفروض ولكن أمي لا تستطيع أن تصلح الكهرباء.. إنها ليست ماهرة في الأعمال اليدوية.

قال الرجل:

- عادة النساء لا يقمن بالأعمال اليدوية المهنية ولكن على أية حال أمك لا تستطيع أن تفعل شيئا حيال ذلك! إن العاصفة هي التي سببت

هذا العطل. وكل المنطقة محرومة من الكهرباء.

تقدم الرجل للأمام بضع خطوات: أحست "اليشيا" بالخوف مرة ثانية يغزوها.

همست من بين أسنانها:

- خذ "آدم" للخارج يا "ديفيد".

أيدها الرجل قائلا:

- هذا أفضل وستكونان بمأمن من الأمطار تحت الشرفة. وأثناء هذا الوقت سأساعد أمكما.

رد "ديفيد" وقد خضع لسلطة صوته:

- حسنا جدا. تعال يا "آدم".

انغلق الباب خلفهما. ظلت "اليشيا" والمجهول في الظلام. استعدت للدفاع بقوة عن حياتها رغم أن مسلك هذا الرجل لا ينم على مايقلق فعلا.

ارتفع صوته مهذبا ومطمئنا وهو يسألها:

- هل لديك مصباح عواصف؟ إنني أريد إضاءته.

قالت في نفسها: إن عليها أن تظل هادئة وأن تتحدث بحسم: حتى يدرك أنني امراة مسؤولة وعلى عاتقها طفلان، وأنها تخرج من أقسى المصاعب بكل سهولة. ولكن كل ذلك انتهى بها إلى أن تكرر دون ثقة في نفسها:

- مصباح عواصف؟

- نعم... أين وضعته؟

رفعت "اليشيا" رأسها وأرسلت شعرها خلف أذنيها في حركة أرادت بها أن توحي للغريب أنها غير مكترثة، ثم مدت ذقنها. وقالت:

- لست أدري.. إن الڤيلا مستأجرة ولم يتح لي الوقت لاستكشافها.

- اه... ولا شموع؟ ألم تحضري أدوات النجدة؟

- كلا.. ولكن كل شيء سيتم ترتيبه بعد عودة الكهرباء.

- إذن ستنتظرين طويلا. إنني أعرض عليك أنت وطفليك الضيافة في

فيلتي القريبة من هنا ويكفي عبور الأكوام الصغيرة.

قالت الشابة بسرعة:

- لا.. لا. شكرا.

أحست مرة أخرى بالحذر. إن الغريب لم يعد يخيفها بنفس الدرجة بل أقل ولكنه يوحي إليها بشعور بالذنب مزعج جدا: إنه لا يدرك أنها رحلت لتعسكر لأول مرة في حياتها ولم يخطر على بالها أن مصباح العواصف سيكون مهما في رحلة المعسكر. لابد أنه يعتبرها أما سيئة وطائشة وغير متزنة العقل. كررت:

- لا.. فعلا.. لا.. شكرا يا سيد.

- "رينولدز" "بيتر رينولدز".

- شكرا يا سيد "رينولدز"، ولكني سأتصرف بمفردي.

- لماذا لا تريدين المجيء؟

سمعت صوت الطفلين وهما يلهوان برشاشة الزهور وتمنت ألا يحدث لهما شيء. قالت:

- لأنني.. أنتظر زوجي.. والذي سيقلق إذا لم يجدنا عند وصوله.

قال وهو يمرر يده في شعره:

- فهمت. إنني لا أحب أبدا أن أتركك بمفردك مع طفليك في البرد والظلام. لماذا لا تكتبين ورقة لزوجك يجدها عند حضوره؟

أدارت مصباحها البطارية نحو "ديفيد" عند دخوله هو وأخوه ممسك بيده.

- أمي.. نحن نشعر بالجوع.. متى نأكل؟

كرر "آدم":

- نحن نشعر بالجوع.

قال المجهول في إلحاح:

- إذن ستأتون إلى بيتي وستكونون فيه على راحتكم أكثر من هنا.

- ولكني

قبل أن تقول شيئا استدار محدثها نحو طفليها.

- اخبرانا ايها الولدان.. هل تحبان اللحم بصلصة الطماطم؟ إنه ذلك الطبق المسمى "الشيلي" والمكون من لحم البقر المفروم مع الجزر الأحمر والفلفل الحارق؟ هل تعرفانه؟

صاح "ديفيد" وقد التمعت عيناه حماسا:

- إنه يبدو لذيذا.. رائعا!

كرر "آدم":

- لذيذا...

- ولكن يجب أن تعبرا الغابة على أقدامكما حيث لا يوجد طريق معبد من هنا إلى فيلتي.

- ليس هذا صعبا.. أليس كذلك يا "آدم"؟

سارع الطفلان في الحال نحو باب المدخل.

صاحت فيهما "اليشيا" وهي فاقدة الأمل:

- عودا!

- تعالي إذن يا سيدتي!

- السيدة "روسيل".

- يا سيدة "روسيل": انا لا أستطيع حقا أن اتركك هنا مع الصبيين وأؤكد لك واطمئنك انه ليس هناك ما تخشينه مني.

في هذه اللحظة بالذات ومض البرق بعنف وأضاء الليل. كان من غير المجدي أن تأمل في عودة التيار الكهربائي في وقت قريب. لقد كانت ساذجة؛ لأنها لم تتوقع مثل هذه الكارثة ولكن فات الأوان للندم. على أية حال سيجد الطفلان ما يأكلانه، وعندما ينتهي الليل سيعود الثلاثة إلى الفيلا.

أخذت تصلي في صمت صلاة تدعو فيها السماء ألا يهاجم هذا المجهول شرفها أو حياتها، لاهي ولا طفلاها. قالت أخيرا:

- اتفقنا..

لم تحمل سوى حقيبتها؛ كان من المستحيل أن تفرغ السيارة تحت وابل المطر.

أثبت "بيتر رينولدز" أنه على مستوى المسؤولية في تلك الظروف. رفع "آدم" بين ذراعيه وقال لـ"ديفيد":

- امسك يد أمك بشدة ولا تفلتها.

أطاعه الطفل في الحال.

- والآن يا سيدة "روسيل" امسكي بيدي.

أخذت "اليشيا" تتطلع لمدة دقيقة كاملة إلى اليد القوية ذات الأصابع الطويلة ثم وضعت يدها في راحته. ضم أصابعه عليها بقوة.

تضاعف هطول المطر بينما أسرع الفريق الصغير عبر الغابة. كانت الرياح تزأر وتطيح بشعرهم في خصلات مجنونة وتلصق ملابسهم المبتلة بأجسادهم. وفي كل مرة يضيء البرق العتمة كان "آدم" يدس وجهه الصغير في رقبة السيد "رينولدز". كان "ديفيد" يبذل أقصى المستطاع ليتبع أمه ولكنه كان يلتصق بها في يأس ويعوق سيرها.

أخيرا ظهرت فيلا السيد "رينولدز" عبر ستارة من المطر. صاح "بيتر" وسط العاصفة:

- ها نحن وصلنا

تجمعوا والمياه تتساقط منهم فوق الشرفة الأمامية بعيدا عن سيول المطر. وضع "بيتر" "آدم" على الأرض وقال:

- اخلعوا أحذيتكم.

كان مصباحان من المصابيح التي تضاء بالكيروسين ينشران ضوءا مطمئنا. دفع "بيتر" الباب وأدخل مدعويه إلى فيلته. كانت نار قوية تشتعل في المدفأة ومع ذلك كانت الغرفة باردة ورطبة. وقف الثلاثة "روسيل" في خجل وخوف عند المدخل الرئيسي للفيلا في حين اقترب "بيتر" من المدفأة وهو يعلن:

- لقد تجمدت واعتقد انكم كذلك؟ احضر لي يا "ديفيد" كتلة خشب ستجدها في صندوق الخشاب المدفئة بالقرب من الحائط؛ ساقوم بتاجيج النيران.

سعد "ديفيد" عندما وجد انه شخص نافع فسارع لينقل عدة كتل

خشبية. فرفص "بيتر" أمام المدفأة ومرر يده في شعر الصبي "آدم" وقال:

- إن الحمام خلف هذا الباب على اليسار. أحضر مناشف جافة لأمك وأخيك.

- حاضر يا سيدي!

اختفى "آدم" في الاتجاه الذي أشار إليه، بدأت ألسنة اللهب تتصاعد داخل المدفأة وغزت حرارة رقيقة القاعة. كانت هذه الحجرة الضخمة مريحة باريكتها الفسيحة ومقاعدها الوثيرة ذات المساند، وتستخدم كصالون وقاعة طعام في آن واحد، وهي تؤدي من جهة إلى حجرة النوم ومن الجهة الأخرى إلى المطبخ، ويوجد درج حلزوني يؤدي إلى الدور العلوي. كان الجو العام يوحي بالترحيب والفخامة ودون تظاهر مصطنع.

خرج "آدم" من الحمام يحمل كومة من المناشف. تساءلت "اليشيا" إن كانت تحلم أم لا. ما الذي تفعله هي وطفلاها في هذه الدار المجهولة مع رجل لا تعرف عنه شيئا؟ والغريب أنه ليس عجوزا أو قبيحا ولا جلفا أو طائشا ولكنه مخلوق ساحر يتفجر رجولة ويتمتع بكل ذوق وكياسة رجل المجتمع!

لابد أنه في سن الأربعين وهذا يؤكده بضع شعيرات فضية عند فوديه، وعندما استدار نحوهم ليتحدث مع "ديفيد" اشتبكت عيناها مع عينيه بلون الزمرد الأخضر تحت رموش سوداء سحرتها. لم تستطع أن تمنع نفسها من تامله أثناء تحريكه للنيران وأعجبت في نفسها من عضلات ذراعيه وصدره العريض البارز تحت الـ"تي-شيرت" القطني.

أحست بعصبية نحو هذا الرجل أدهشتها. ومع ذلك لم تعد خائفة منه ولا من الخطر الذي قد يشكله لحياتها وشرفها. إن رجلا يحمل طفلا وسط العاصفة ويهمس له كلاما ليطمئنه لا يمكن أن يكون سفاحا ولا مجنونا شاذا. هل هو خطر عليها؟ هل هو مغتصب؟ إنها عندما تاملته شكت في أنه يمكن أن يجبر امرأة على أن تمنحه ما يرغبه.

قال وهو يبتسم:

- لحسن الحظ أنه خطرت علي فكرة إشعال النيران من فترة وجيزة. لم يكن الجو وقتها باردا جدا ولكنه الآن...

ظلت بقية الجملة معلقة لا يستطيع إكمالها.

لقد ذهلت "اليشيا" من الانجذاب الشديد الذي تحسه نحوه في حين أنه أيضا غرق في جمالها الأخاذ كما أنه لم يشعر بانجذاب نحو امرأة مثلما يشعر به الآن نحوها. ولكن دون أمل: فهي متزوجة وأم لطفلين لذلك لن يحدث شيء أبدا بينهما. في الحقيقة أحس أنها عصبية وحذرة، ولو شكت في مدى تاثيرها عليه فإنها ستموت خوفا وهي على حق في ذلك الخوف.

قال مقترحا بسرعة:

- أعتقد أن علينا أن نبدل ملابسنا بسرعة، اصحبي إذن الطفلين إلى الحمام وساحضر لهما ملابس جافة.

وافقته "اليشيا" برأسها وهي تصحب الطفلين. لم تفتها نظرات الإعجاب من "بيتر" لها وحاولت أن تخفي الأجزاء التي التصقت بها الملابس بسبب البلل. بعد دقائق قرع على باب الحمام الذي كانت قد تركته -على أية حال- مواربا حتى تسمح للضوء بالتسلل إلى داخله. كان "ديفيد" و"آدم" قد خلعا ملابسهما ولم يحتفظا إلا بالسروال القصير الداخلي. جففتهما "اليشيا" بمنشفة.

أعلن "بيتر":

- إن "الشيلي" يناديكم وقد عثرت على هذه الملابس في أحد أدراج دولاب الملابس.

ناول "اليشيا" تي شيرتات عليها رسوم مبهرة.

صاح "ديفيد" عندما رآها:

- رائعة!

ارتدى واحدا يحمل عبارة "أحبك" على صدره، ووصل الـ"تي شيرت" حتى ركبتيه. همست له "اليشيا":

- قل شكرا للسيد "رينولدز".

لم تكن تشعر بالارتياح. كانت مدركة تماما لبلوزتها الملتصقة بصدرها والشورت القصير جدا الذي يعري ساقيها. كانت عندما غادروا "كوس أنجيلوس" في الصباح الباكر قد ارتدت زيا خفيفا لأن الجو كان جميلا.

قال "ديفيد":

- شكرا يا سيد "رينولدز".

- مرحبا بكم في الفيلا. إنها ملك شركتي وملك أي شخص يمكنه أن يسكنها لوقت محدد، وكل ساكن غالبا ما يترك قطعة من الملابس سهوا أو لا يحتاج لاستعمالها، ويمكنك يا "ديفيد" أن تحتفظ بهذا الـ"تي شيرت" لو أردت وكذلك الحال بالنسبة لـ"آدم".

رد عليه "ديفيد" في حماس:

- ممتاز!

بدا الطفلان وهما ملفوفان في قميصيهما مثل طائري البطريق وقد أشرق وجهاهما بعد أن جفا وأحسا بالدفء مع توقع الوجبة اللذيذة.

أعلن "بيتر" موجها الحديث لـ"اليشيا":

- حسنا.. سأذهب لأبحث لك عن ملابس.

ردت عليه مؤكدة:

- لا داعي للتعب فإنني ساجف خلال دقائق ربما أمكننا أن ننتقل إلى المائدة من الآن؛ لأن الطفلين شديدا الجوع.

كان "بيتر" قد أعد المائدة وجلس الطفلان أمامها يتحرقان لهفة، وهجما على أطباق المشهيات المنوعة بينما وضع على البوفيه الصغير طبقا من الجبن وسلة تفاح انتظارا لوقت تقديم الحلو. كان "الشيلي" يغلي في حلة فوق موقد البوتاجاز.

أعلنت "اليشيا" وهي تجلس:

- مرحبا بهذه الوجبة! لم تتح لي الفرصة أن آكل أي شيء منذ الصباح.

قال "ديفيد" معلقا:

- إنها تقول نفس الكلام عند أي وجبة ولكنها لا تأكل شيئا في الصباح حتى تنحف.

ردت عليه أمه بجفاء:

- أكمل وجبتك ولا تقل حماقات. إننا سنرحل سريعا إلى بيتنا.

- ألا يمكننا أن نبقى هنا يا أمي؟

- لا. إن هذه الفيلا ملك السيد "رينولدز".

- وهل السيد "رينولدز" لا يريد أن يبقينا؟

تدخل "بيتر":

- بل أريد إبقاءكم. ولكني فقط أريد أن أقترح عليكم الذهاب بسرعة لوضع كلمة صغيرة لزوجك حتى يأتي للانضمام إلينا عند حضوره.

- ولكن.. زوج أمنا ليس موجودا.. إنه ميت وليس لنا أب!

أحست "اليشيا" بقلبها يكف عن الخفقان: لقد انكشفت كذبتها. كيف تستطيع أن تمسك بعد ذلك بزمام الأمور؟ إنها لا تعرف.

أحست "اليشيا" بالعينين ذواتي اللون الزمردي الأخضر تستقران عليها.

قال "آدم":

- لقد مات أبونا.. تماما مثل سمكتنا الحمراء.

لم يقل الرجل شيئا. وقال "ديفيد":

- لقد مات أبونا من مدة وأنا أذكره، أما "آدم" فلا يذكره فقد نسيه.

- بل لازلت أذكره! لقد كان شعره أسود.

قالت لهما الأم بعصبية:

- اصمتا بعض الشيء.

استمر "ديفيد" في حديثه دون كلل:

- وبعد ذلك أصبح "جوليان" والدنا الجديد، ولكنه تزوج من "سوزي" بدلا من أمنا. ولقد بكيت؛ لأنني أردت أن يكون أبا لنا ولكن أمنا قالت إن الأمر أفضل هكذا؛ لأن "جوليان" كان يحبنا إلى أن تزوج بـ"سوزي".

أفلتت الأحداث تماما من بين يدي "اليشيا". وأخذت تدعو في سرها

أن يغير الطفلان موضوع الحديث دون أن تضطر لأن تأمرهما.

سأل "ديفيد":

- وأنت يا سيد "بيتر" هل لك زوجة؟

- هذا يكفي يا أولاد! يجب عدم الكلام على المائدة.

- لا ليس لدي زوجة. والآن يا فتية هل يمكن أن تنتهيا من العشاء؟ أعتقد أن الوقت حان لتذهبا إلى الفراش.

أمرتهما أمهما وهي تنهض من أمام المائدة.

- "ديفيد"! "آدم" اذهبا لغسل أيديكما.

قال "ديفيد":

- هل تريدين حقا يا أمي أن نغسل أيدينا أم أنك تريدين أن تقولي شيئا للسيد "رينولدز". شيئا لا يجب علينا أن نسمعه؟

صرخت فيهما بأعلى صوتها:

- اذهبا لغسل أيديكما!

اختفيا في الحال. استدارت "اليشيا" إلى مضيفها وقد قررت أن تمسك بزمام الأمور:

- من فضلك يا سيد "رينولدز" أرجوك أن تتكرم وألا تعرض على الطفلين البقاء عندك. إنه فعلا أمر لطيف من ناحيتك أن تستقبلنا هكذا ولكن يجب عودتنا لمنزلنا.

- إن هذا ليس معقولا يا سيدة. سيدة. سيدة "روسيل".

- انتظر.

أحست بأنها مدفوعة بقوة غامضة أن تكمل الاسم:

- "اليشيا روسيل".

ابتسم واتخذ مظهرا جادا وهو يقول:

- لماذا لا تريدين حقا أن يناما تحت سقف بيتي الدافئ بدلا من العودة إلى بيت مثلج وبدون كهرباء؟

- لأنه لو قضى الطفلان الليلة هنا فسأضطر أنا أيضا إلى البقاء، ولا أريد أن أقيم عند شخص لم أعرفه.

- ولماذا كذبت بشأن زوجك؟ هل لتحتمي مني؟

دفعت شعرها للوراء خلف أذنيها ثم حدقت في محدثها بثقة لا تحسها قائلة:

- هذا بالضبط ما رأيت أن أفعله. لقد اعتقدت أن من الحكمة أن أكذب عليك.

نظرت العينان الخضراوان إلى قدمي الشابة العاريتين ثم إلى وسطها النحيف وصعد حتى رقبتها وبعدها تشابكت عيونهما. ظل كل منهما يحدق في الآخر في صمت وإدراك أن الانجذاب العنيف الذي يحسه كل منهما نحو الآخر قد يدفعهما إلى مالا تحمد عقباه. لم يتحرك أي منهما قيد أنملة.

تساءلت "اليشيا": ما الذي حدث لها؟ إنها في هذه الفترة من العام عليها أن تتخذ قرارا حاسما، وأن تستعين بكل الوسائل والأشخاص لمساعدتها إلا أن عليها ألا تدع شيئا يشغلها خاصة من مسلك رجل مزعج.

لا. لقد نجحت في بناء حياة متزنة ومعقولة وأن تربي بطريقة لائقة ولديها دون أن تجعلهما يشعران بفقد والدهما؛ لذلك يجب عليها ألا تهدم هذا البناء الممتاز لمجرد أن رجلا ذا عينين خضراوين يؤثر فيها ويسبب اضطرابها.

و"بيتر" رغم المتاهة التي يعيش فيها لا يستطيع أن يمنع نفسه من التأثر من جمالها وبأسها.

خرج الطفلان في اندفاع من الحمام وصاحا:

- أين سريرنا؟

سقطت ذراعا "اليشيا" في حركة يأس. ليس لديها الشجاعة. إنها تفكر -وهي في الحادية والثلاثين من عمرها ولديها مهنة ممتازة وتفكير رصين هادئ- أن أي امرأة تستطيع أن تواجه أي موقف مثلها ولكنها كانت مخدوعة. إن ما دفعها إلى قبول اقتراحه هو خضوعها؛ لأنها مضطرة لاتخاذ هذا القرار، ثم إنه لم يكن ليلح عليها أمام الطفلين حتى

يحتفظ بهما. استسلمت في ضعف

- حسنا موافقة.. سنقضي الليلة هنا.

قال "بيتر":

- اعتقد أنني أستطيع أن آخذ أحدهما في أحضاني ويمكنك أن تصعدي مع الآخر إلى الطابق العلوي حيث يوجد سرير مزدوج.

- أريد أن آخذهما معي في الطابق العلوي: لأنني لا أريد منهما أن يزعجاك.

- إنهما لا يزعجاني.

سرعان ما تم وضع الطفلين في الفراش. وقام "بيتر" و"اليشيا" برفع المائدة بسرعة وغسل الصحون في صمت.

قال "بيتر" عندما تم ترتيب الصحون في أماكنها:

- سأذهب لأبحث لك عن قميص نوم.

أخذ يفتش طويلا في أثاث البهو دون جدوى، ثم بحث في حجرته -التي نام فيها فعلا "آدم"- وعاد بالشيء المطلوب.

- لقد وجدت شيئا من أجلك.

فرد مجموعة من الملابس الشفافة عبارة عن: سحابة من الدانتيلا السوداء خفيفة مثل أجنحة الفراش.

قال معلقا:

- أوه.. يبدو أن أحدا ما عاش هنا على راحته.

احمر وجه "اليشيا". إنها تفضل الموت على ارتداء هذا القميص الفاضح.

فرد القميص أمامها، وقال بصوت مكتوم:

- من يراه يظن أنه صنع خصيصا من أجلك!

قالت وهي تحس بالحمرة في خديها:

- لا أريده.

امتعض وجهه ثم ألقى بالقميص في الدولاب. تساءلت: هل هناك امرأة في حياته؟ وهل فكر فيها وهو يبدي إعجابه بالقميص لو ارتدته ضيفته؟ لقد أحست أن وراءه سرا ولكنها امتنعت عن سؤاله.

عاد إليها ومعه قميص رجالي كبير:

- يمكنك ارتداء هذا.. وتصبحين على خير يا "اليشيا".

راقبها تصعد الدرج ثم زفر

الفصل الثاني

عندما استيقظت "اليشيا" صباح اليوم التالي كان السرير المزدوج خاليا، والشمس تتسلل من خلال الستائر، وضجيج مرح يسود البهو. لم تكن ملابسها قد جفت بعد. ارتدت القميص الذي أقرضها "بيتر" إياه في الليلة الماضية ثم ذهبت إلى أعلى الدرج وقدماها حافيتان.

كان "بيتر" يقول:

- لا تتحدثا بهذا الصوت المرتفع حتى لا توقظا امكما.. إنها في حاجة إلى الراحة.

- هل يمكنني الحصول على مزيد من الخبز المحمص؟

- بهذا كم يصبح عدد القطع التي حصلت عليها؟

أعلن "ديفيد":

- لقد حصل "آدم" على ست.

شدت الشابة القميص إلى أقصى مدى لأسفل على أعلى ساقيها، وهبطت الدرج.

قالت:

- صباح الخير.

استدارت ثلاثة رؤوس نحوها، وصاح الطفلان بصوت مرح متمنين لها صباحا سعيدا، ولكن "بيتر" لم يتحرك ولم يقل شيئا. لم تغادر عيناه عقبيها وهما تهبطان درجات السلم واحدة وراء الأخرى في حذر شديد ومع ذلك أحست "اليشيا" بالنقص. لم تكن قد مشطت شعرها؛ لأنها لم تجد في الحجرة لا فرشاة ولا مشطا وقد تناثر شعرها -في فوضى- حول وجهها، وظنت أن ذلك قلل من جمالها. كانت زينتها قد سالت على وجهها وأخذت تهمهم بأنها لابد أنها تبدو مرعبة.

طبعت قبلة على رأس كل من الطفلين ثم غامرت ونظرت إلى "بيتر" في عينيه. كان جماله مذهلا ببشرته الملوحة وبعينيه الخضراوين اللتين تلمعان وهو يراقبها. انتشرت رائحة كولونيا بعد الحلاقة مع رائحة أشجار الأرز والأعشاب بعد المطر.

قال عارضا عليها:

- أتحبين قدحا من القهوة؟

- بكل سرور.

- سأحمص لك بعض شرائح التوست.

- لا.. لا داعي لذلك.

قال "ديفيد" معلقا:

- أمي دائما تخشى أن تصبح بدينة.

- من فضلك يا "ديفيد".. امتعنا بسكوتك.

هددته بأصبعها؛ الأمر الذي جعله يهتز على مقعده في سعادة.

قال "بيتر" معلقا:

- من المستحيل الاستغناء عن الإفطار عندما يكون الإنسان في الريف. ثم إنني انتظرتك حتى أتناول إفطاري معك. وسيكون مزعجا حقا أن تدعيني آكل بمفردي.

قالت وهي تبتسم:

- حسنا.. موافقة.

شغل "بيتر" التوستر ودس فيها شريحتين ثم وجه حديثه للطفلين:

- ما دمتما قد انتهيتما من الأكل. فلماذا لا تذهبان معا لترتيب سريركما؟

- حاضر يا سيدي.

اختفيا وكانما سقطا في فخ تحت الأرض. تنهدت "اليشيا":

- إنني أتساءل كيف استطعت التعامل معهما؟ أنا نفسي لا أستطيع أن أجعلهما يطيعاني خاصة بالنسبة لترتيب سريرهما!

- ربما لأنهما لايزالان يخافانني.

جلس أمام ضيفته ووضع كومة من التوست بينهما وشاهدها وهي تلتهم الطعام بشهية.

قال شارحا:

- لقد تم إصلاح الكهرباء أثناء الليل.

اكتشفت "اليشيا" أن الخبر أدهشها. هل كانت إقامتها في هذه الفيلا مريحة لدرجة أنها لم تهتم بعودة الكهرباء فور نهوضها في الصباح؟

- ممتاز!

ابتلعت جرعة من القهوة. كان مظهر عدم الاكتراث الذي اتخذته لا صلة له بالواقع. قالت:

- عندما أنتهي من تنظيف الأواني ساعود إلى فيلتنا أنا والطفلان.

- كيف مات زوجك؟

كان السؤال مفاجئا فاخذها على غرة. نظرت إلى "بيتر". كان قد انتهى من تناول التوست وامسك قدح قهوته بين يديه أمام ذقنه مباشرة. كان ينظر أمام البخار المتصاعد بينهما. لم تجد سببا لأن تتجاهل السؤال رغم أنه أبدى تحفظا حين طرحه. على أية حال هو غريب عليها.

- لقد كان رجل اعمال ولكن غرامه كان بسباق السيارات. بعد ظهر يوم أحد اشترك في سباق و.

خفضت عينيها نحو طبقها حتى تتجنب نظراته.

- وقد انفجرت سيارته ومات في الحال.

وضع "بيتر" قدحه على المائدة ومد ذراعيه عبرها ومال قليلا للأمام. أحست بإحساس واضح ومحدد أنه يريد أن يسري عنها. سألها:

- هل مضى وقت طويل على زواجكما؟

- بالضبط الوقت الذي رزقنا فيه بطفلين.

لقد تزوجنا ونحن لانزال طالبين. لقد وقعت في غرام "جيم روسيل" من أول مرة قابلته فيها.

كان من الواضح أن هذا الاعتراف لم يسعد "بيتر"، وكانت الغيرة واضحة على وجهه ولم يفت ذلك على "اليشيا"، واجتاحها شعور بعدم الارتياح المزعج: تلك النظرة القاسية وتجعد ما حول فمه وفكه الذي كز عليه جعلها كل ذلك تشعر بالخوف. إن أفضل ما تفعله هو أن تبتعد عن هذا الرجل قدر المستطاع.

نهضت ورفعت المائدة بسرعة وانهت غسيل الصحون في وقت قياسي. ثم صعدت إلى الطابق العلوي وارتدت ملابس الليلة الماضية بعد أن جفت، ولم تسمع احتجاجات ولديها فالبستهما "تي شيرت" كل منهما الخاص. ثم هبطت إلى البهو وهي تواصل سرعتها. لم يتدخل "بيتر" مرة واحدة.

- لست أدري كيف أشكرك على لطفك الذي.

أحست بانها مثيرة للسخرية وغريبة السلوك في شورتها القصير وحذائها التنس، وكان الطفلان مكتئبين ومتجهمين وكانهما يسيران في جنازة.

أجابها "بيتر" بنفس لهجتها الرسمية:

- لقد اسعدني أن أكون نافعا... وأتعشم أن يسير كل شيء على خير بالنسبة لك.

ربتت "اليشيا" كتفي طفليها حتى يشتركا معها في عملية الشكر.

قال "ديفيد":

- شكرا يا سيدي. وقد عرفت يا سيد "رينولدز" إذا أردت أن تشاهدني

وأنا ألعب كرة القدم في "لوس أنجيلوس".. إنه أمر بسيط

كانت هذه الدعوة قد أشعرت "اليشيا" بعدم الارتياح: أدركت أن ابنها في حاجة ماسة إلى وجود رجولي ولكن ماذا تفعل؟ إنها لا تستطيع أن تتخذ زوجا لمجرد أن ابنها.. أو ربما ابنيها يحسان بالحاجة إلى أب رجل حازم، ونوع من المثل الذي يجب أن يحتذيا به

منذ أن قطعت علاقتها مع "جوليان" لم يعد هناك رجل في حياتها

قال "بيتر":

- شكرا يا "ديفيد".. إن هذا يسعدني كثيرا.

- أين تسكن؟

- في "لوس أنجيلوس".

- ونحن كذلك.

اختصرت "اليشيا" هذا الوداع الذي هدد بأن يمتد إلى مالا نهاية وصحبت الطفلين. كان مزاجهما المعتل واضحا. حاولت أن تسري عنهما وهما في طريقهما عبر الغابة. قالت لهما:

- فور ترتيب أمورنا سنذهب لصيد السمك وسنتسلى كثيرا

زمجر "ديفيد" من بين أسنانه:

- انت لا تستطيعين تركيب الصنارة.

كان مزاج "اليشيا" غير وردي رغم مرحها الظاهر الذي قد انخفض درجة. لقد كانت فكرة أن تضع طعما في الصنارة تجعلها تشعر بالضيق.

- حسنا... ستريني كيف اضع الطعم في الصنارة.

ظل مرحها المصطنع مستمرا إلى اللحظة التي خرجوا فيها من الغابة، وشاهدت الفيلا. كان المشهد الذي رأته أمامها قد جعلها ترتجف. كان البيت يبدو مثل سفينة غارقة بمصاريع النوافذ التي تتطوح مع الريح، وحطام الأغصان والأوراق يملأ الفناء الأمامي والشرفة، وكان الداخل أسوأ حالا: أسرة مقلوبة الفراش وستائر منزوعة والتيار الكهربائي لايزال مقطوعا. اجتاحها شعور بالقنوط وشبه اليأس ولولا

وجود طفليها لانفجرت في البكاء.

أدرك الطفلان الجانب الإيجابي من الكارثة فصاحا:

- هل سنعود يا أمي إلى فيلا "بيتر"؟

- نعم يا أمي لنعد إليها.

- سنكون عاقلين.. هذا وعد.

صرخت في ضيق:

- لا!

أمام الوجوم الذي أظهراه حاولت أن تهدأ، ومع ذلك تجشمت مصاعب كبرى حتى تحصل لهما على هذه العطلة. تمنت فقط لو أن رجلا كان بجوارها ليتخذ القرار الصحيح. بعد انفصالها عن "جوليان" قررت أنها تستطيع أن تكون على مستوى المسؤولية والأحداث. لقد كان لها وضع ممتاز جدا تستطيع أن تنجح فيه، وتغلبت على شجون انفصالها عن زوجها، وهي اليوم لن تترك نفسها تنجرف مع التيار.

قالت "اليشيا" معلنة بصوت شجاع مرح:

- سنبدأ بتبديل ملابسنا. ساعداني في نقل حقائبنا من السيارة إلى البيت.. هيا.

وحتى بعد أن ارتديا ملابس نظيفة لم يصبهما أي حماس أمام هذا النهار الحزين الذي بدأت بشائره. كان المنزل غارقا في سحابة من الرطوبة والذي كان مفتوحا أمام الريح، وبدون الكهرباء لم يكن هناك أي أمل في إعداد الطعام.

قالت وهي تزفر في حزن:

- إننا لا نستطيع أن نمكث في هذه الفيلا، ولكني سأطلب من مدير العقارات أن يؤجر لنا واحدة أكثر قبولا من هذه لمدة أسبوع.

- وماذا إذا لم يكن عنده واحدة؟

- حسنا.. سنتصرف.

وضعوا الحقائب -في صمت- في السيارة. يجب بأي ثمن العثور على مكان يستقرون فيه. مكان يسمح للطفلين بالصيد والتريض

والاستفادة من هذه الطبيعة الممتازة والتي كانوا جميعا يحلمون بها من زمن بعيد. لا مجال للتفكير في العودة إلى "لوس انجيلوس" بدعوى ان العاصفة حرمت الفيلا من اي وسيلة للراحة.

داخل مكتب المدير استمع إليها موظف في تعاطف وهي تقص مشاكلها واحزانها، ورغم حسن النية الذي نظر به إلى هذه الأم المنكوبة لم يستطع أن يفعل شيئا ولم يعرض شيئا لإصلاحها، ولا يوجد فيلا اخرى تنتقل إليها.

وبعد نصف ساعة من النقاش والاتصالات التليفونية بالمنطقة والتضرع والتوسل انتهى الأمر إلى القرار الذي حاولت "اليشيا" أن تتجنبه: العودة إلى "لوس انجيلوس".

زمجر "ديفيد":

- هذا ليس عدلا. لقد وعدتنا أن نعيش حياة برية طوال ثمانية ايام.

- حسنا... ولكن كما ترى لا أستطيع أن افعل شيئا.

- لقد وعدت.. لقد وعدت، والآن أنت سعيدة لأننا سنعود و...

###

وقفت سيارة جيب أمام الفناء الأمامي حيث وقفت "اليشيا" وطفلاها. قال صوت رجل:

- حسنا يا ابني.. اخبرني ماذا يجري؟

خرج "بيتر" من السيارة. قبل أن تتمكن "اليشيا" من فتح فمها، أسرع طفلاها نحوه وهما يحكيان باعلى صوتيهما ماساتهما. استمع "بيتر" إليهما في صبر ثم اخرج ورقة مالية من محفظة نقوده وناولها إلى "ديفيد" قائلا:

- اذهب بسرعة واشتر لي الجريدة انت واخوك إنهم يبيعون الجرائد اليومية في مكتب السجائر بجوار بيت المدير.

قال "ديفيد" معلقا:

- اه.. مرة اخرى حديث بين الكبار لا يجب أن يسمعه الصغار.. تعال يا "آدم"!

خرج الولدان جريا. التفت "بيتر" إلى "اليشيا" وطلب منها إيضاحا لمتاعبها. فقدت تماسكها امام نظراته رغما عنها وخرجت الحقيقة من بين شفتيها دون اي إضافة. شرحت أن كل شيء يسير سيرا سيئا وكل شيء لامها عليه ابنها الأكبر بكل قسوة ومرارة وكرر الاصغر نفس الكلام كالعادة.

أسند "بيتر" ظهره إلى جذع شجرة. أخذ "بيتر" ينظر إلى بعيد دون أن يقاطع حديثها الملتاع. بدا انه اتخذ قرارا بينما تتجول نظراته في المنظر حوله. انتظرت "اليشيا" حتى يعبر عن رايه.

تكلم أخيرا في هدوء:

- لماذا لا تاتين انت والطفلان لتسكنوا عندي؟

أجابته بضعف:

- هذا مستحيل.

- لماذا؟ هل لأنك تعرفين انني منجذب لك؟

كانت مشوشة ومرتبكة وقد احمر وجهها ولا تعرف ماذا تقول. استانف حديثه:

- انا اتحدث بوضوح يا "اليشيا". منذ اللحظة الأولى التي كنت تصارعين فيها صندوق العدة بحثا عن مقبس كهرباء، وبعدها عندما استدرت نحوي بعينيك الزرقاوين الواسعتين وتلك الكتلة من الشعر الأشقر الملتصقة بخديك.. نعم اجتاحتني الرغبة فيك حتى عندما اعتقدت انه لايزال عندك زوج وانك لست حرة لم استطع ان امنع نفسي من التفكير فيك وان اتخيلك معي للابد.. وانت تعلمين ذلك جيدا.

- اسمع.. انا..

- لا تخافي مني يا "اليشيا".. إنني لن اضرك.

صمتت "اليشيا" امام كلامه وعندما تاكد من انها لن تقاطعه استمر في حديثه:

- أولا: انت تتصورين انني سأحاول أن اضايقك مع ان اهم شيء عندي الا افعل ذلك، ثم إن عندي اسبابا وجيهة جدا.

انتظرت منه أن يشرح لها تلك الأسباب ولكن "بيتر" اكتفى بأن أكد قائلا:

- كوني واثقة أنني لن أستغل وجودك عندي وأحاول إغواءك. وكذلك اقترح عليك مرة أخرى ضيافتي لك ولطفليك.

مررت "أليشيا" يدها في شعرها وهي مندهشة من اعترافاته وعرضه ثم أساسا ما الذي يجعلها ترفض؟ إنها تشعر أنها تستطيع أن تضع ثقتها فيه ولكنها مع ذلك لا تعرفه إلا قليلا.. جدا.

همهمت، معلقة:

- أنت لا تخيفني، وأرى جيدا أنك لست من نوع الرجل القادر على السيطرة علي عنفا.

قال وهو يضحك:

- يا عزيزتي.. لا تحاولي أن تتحديني.. إنني أعتبرك جذابة جدا

سارعت "أليشيا" بتغيير موضوع الحديث:

- ألا تخشى أن تفسد إجازتك؟ هل تعلم الفوضى التي يمكن أن يحدثها طفلان تركا حرين؟

رد في جدية:

- لا.. لست أعرف. لست أعرف ما يمثله وجود طفلين بالقرب مني ولكني أحب أن أعرف.

هزت "أليشيا" رأسها في شك غير مدركة لانعكاس الشمس الذهبية على شعرها. أعجب "بيتر" بالمنظر وانتظر الرد في صمت. لازالت مترددة وهي تخشى أن تثقل عليه ولكنها في نفس الوقت سعيدة بتقديم إجازة حقيقية لابنيها.

قال بصوت لحوح:

- من فضلك.. ابقي.. إن لي رغبة شديدة في ذلك

مرة ثانية حاولت أن تفك شفرة ما يخفيه خلف هذا الوجه الذي توترت ملامحه فجأة. هل ما تراه هو اليأس في هاتين العينين الخضراوين بلون الزمرد والتي تسبب لها اضطرابا شديدا؟ كان رغم ما

يعتمل بداخله من مشاعر متأججة يعرف في نفس الوقت كيف يتحكم في نفسه. لقد منحته "أليشيا" ثقتها بالغريزة.

في اللحظة التي همت فيها بإعطائه موافقتها اندفع الصغيران كالصاروخ خارجين من مكتب السجائر وهما يحركان الجريدة. اندفعا إلى "بيتر" الذي رفع "آدم" بين ذراعيه وأعلن في انتصار:

- أيها الفتيان! أعتقد أنكما ستأتيان لتقيما عندي. أليس كذلك يا "أليشيا"؟ وأحسن ما يمكن أن تفعلاه هو أن تفرغا الحقائب في فيلتي. ما رأيكما؟

قوبل الخبر بصيحات الفرح. ساله "ديفيد":

- هل يمكنني قيادة السيارة الجيب؟

رد عليه وهو يضع يده على كتف الصغير:

- موافق. ستقود السيارة الجيب ولكنك ستقدم أولا اعتذارك لأمك. أليس كذلك؟

نظر كل من "ديفيد" وأمه إليه بنفس الدهشة:

- لماذا؟

- لقد سمعت الطريقة التي كنت تتحدث بها عندما وصلت وقد رأيت أنك بالغت في ذلك.. أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي.. أنا آسف يا أمي.

قبلت "أليشيا" ابنها وهي تضمه بقوة إلى صدرها. قالت له بجدية:

- أنا أقبل أسفك.. والآن كل شيء تم ترتيبه بفضل "بيتر". إننا سنستمتع تماما بالإجازة.

صعدوا إلى السيارة الجيب ووضع "بيتر" "ديفيد" بالقرب منه، وكان عليه أن يقبل أيضا "آدم" التعيس الذي لم يتحمل أن يظل متجاهلا. ظلت "أليشيا" ساكنة بلا حركة أمام السيارة تشاهد طفليها يتصارعان على المكان خلف عجلة القيادة.

قال لها:

- هل ستأتين؟

- لا.. لابد أن أسوي الإجراءات الرسمية أولا مع المدير وسألحق بك بسيارتي فلا تنتظرني.

رحلت العربة الجيب وراقبتها "اليشيا" وهي تبتعد. وتساءلت: لماذا صعدت الدموع عينيها؟

###

سرعان ما تم تنفيذ عملية إقامة ال"روسيل" في بيت "بيتر"، وعندما تم ترتيب كل شيء صحب "بيتر" الطفلين للنزهة في الغابة بينما كانت "اليشيا" تعد طعاما مكونا من: الحساء والسندويتشات، وفي العصر قاموا جميعا بجولة حول البحيرة، ثم عندما بدأت الشمس تميل نحو الأفق عادوا ليعدوا شرائح اللحم البقري على الشواية الفحم. كان الغداء فاخرا ولكن الطفلين سقطا من التعب صريعي النوم. صعدا لينامًا بعد تناول تورتة التفاح.

رفعت "اليشيا" المائدة وجلست على الدرج المؤدي إلى باب الدخول. استنشقت الهواء الطلق ملء رئتيها.. وأعجبت بالسماء الفسيحة ذات اللون الكحلي وتذوقت هدوء الليل.. ذلك الهدوء الذي كان غريبا على امرأة من المدينة.

جاء "بيتر" لينضم إليها ومعه صينية تحوي قدحين من القهوة. لم يزعج حضوره ذلك الهدوء اللذيذ الذي يسود الريف.

قال معلقا:

- لقد نام الطفلان بالفعل.

- أتعشم ألا يوقظك "آدم" بشخيره.

- أتعلمين أنني أيضا أفعل ذلك؟

سألته حتى لا تشرد في أفكار موحية:

- لقد قلت إن هذه الفيلا ملك لشركتك أي شركة هي؟

- إنها شركة ملاحة جوية. أنا مهندس إلكترونيات.

- هل تصمم طائرات وصواريخ للجيش؟

جلس بجوارها وأسعدها قربه منها.

- نحن نعمل مع الجيش، ولكن أيضا لشركات خاصة.

- وهل تقوم بتصميمات لتحقيق الكمال لتلك الآلات؟

كانت تبتسم وهي تطرح عليه هذا السؤال.

أجابها بكل بساطة:

- نعم.

ضحك الاثنان وسط الظلام.

سألته:

- ماذا ستقول شركتك إذا علمت أنك دعوت أرملة وطفليها لمشاركتك الفيلا؟

- لما كنت عضوا بمجلس الإدارة وأمتلك حصة كبيرة من الأسهم فإن من حقي التصرف كما يحلولي.

كان من الواجب عليها أن تخمن أنه ليس مهندسا نكرة بين العديد من الموظفين. إنه واحد من المديرين، يتمتع بالنجاح والثروة والفخامة، وملابسه مهما كانت بسيطة إلا أنها تفوح رقيا وذوقا رفيعا.

سألها:

- وأنت؟ أي نوع من العمل تقومين به؟

- أنا مساعدة في بيت أزياء راقية.

لمحت بسرعة نظرة التساؤل في عيني "بيتر".

- إنك مؤدب لدرجة أنك لم تعلق تعليقا ساخرا على مهنتي. أليس كذلك؟ إن ملابسي فعلا ليست على مستوى وضعي بالنسبة للموضة.

بدأ يتحدث بصوت هادئ رزين:

- إنني أجدك كاملة الأوصاف على ما أنت عليه، ما هو إذن دورك؟

- إنني أنظم وأشرف على كل العناصر التي تسمح بالإنتاج وأقدم للسوق موديلات جديدة لعميلات محددات. هل فهمت؟

- لا على الإطلاق.

انفجرت ضاحكة وهي مندهشة من البساطة التي كانا يثرثران بها وسط الظلام وكل منهما قريب من الآخر دون أن يتلامسا. حاولت أن

تشرح له مم يتكون عملها وهو ينصت إليها بانتباه. أنهت شرحها قائلة:

- والآن أستطيع أن أقوم بالشراء بأموال الغير. ولكن

تجهم وجهها وترددت في الاستمرار.

سألها:

- ولكن ماذا؟

- لا أستطيع أن ازعجك بمشاكلي.

- أريد أن أعرف.

وضعت قدحها جانبا على الدرج. اجتاحتها رغبة أن تستمر في الحديث بحرية عن متاعبها، لم تكن ترغب أن تعرض متاعبها على أصدقائها، حتى "جوليان" و"سوزي" لم يكونا على علم بها ومع ذلك لم تقاوم إغراء أن تستمر في اعترافاتها.

- إن المديرة تتوقع مولد طفل في الأشهر القادمة وقررت تقديم استقالتها. وأنا الآن في بيتها.. في فيلتها.. إن أصحاب الشركة عرضوا علي وظيفتها ويجب علي إعطاؤهم الرد قبل نهاية الشهر.

- وما الذي يجعلك تترددين؟

شدت "اليشيا" جسدها واستندت على ذراعيها الممتدتين خلف ظهرها وقالت:

- سأقول لك يا "بيتر"..

لأول مرة تدعوه باسمه المجرد. أدركت ذلك وحدجته بنظرة مختلسة لتعرف رد فعله. علق عليها بصوت رقيق:

- هذا أفضل من السيد "رينولدز".

قالت:

- إن ما يجعلني اتردد هو واجبي نحو طفلي إن وظيفة المديرة تشعرني بالحماس ومرتبي سيصعد في سرعة السهم، ولكن يجب علي التضحية بالوقت الذي أكرسه الآن للطفلين. فهل هذا من حقي؟ أخشى أن أشعر بالذنب عندما يلومني في يوم من الأيام لأنني أهملتهما.

- وانت ايضا عليك واجبات نحو نفسك ويجب الا تنسي هذا. إن "ديفيد" و"ادم" لابد أن يتركاك في يوم من الأيام، ولا يجب أن تجدي نفسك وقتها وحيدة وليس لديك شيء يملأ وحدتك.

- أعرف هذا.. وهو ما يعذبني ويزعجني.

نعم.. لابد من اتخاذ القرار وبسرعة ولكن ليس هذا المساء! ليس في هذه الليلة الهادئة بالقرب من رجل مهتم.. رجل تحس تفاهمه الدافئ.

- شكرا لأنك أنصت إلي.

- أنا واثق من أنك ستتخذين القرار الصحيح.

وضع يده على يدها ووجدت رغبة شديدة في الا تسحبها.. كم هو رائع ذلك الشعور.. بالاطمئنان! أحست بالخطر من هذا التقارب الشديد بينهما واجتاحها اضطراب لم ترغب أن تغرق فيه. أعلنت بصوت منخفض:

- أعتقد أن علي الذهاب لأنام.

أرادت النهوض ولكن يد "بيتر" منعتها وسألها:

- من هو "جوليان"؟

الفصل الثالث

أخذها سؤاله على غفلة منها.

- ماذا؟ ماذا تقول؟

- إن الطفلين يتحدثان عنه بلا انقطاع. قال "جوليان"... فعل "جوليان"... إلخ. إن ذلك الـ"جوليان" له أهمية كبرى في حياتيهما، وأريد أن أعرف من هو.

- "جوليان ماديسون" صديق قديم...

كانت تعرف أن هناك ما هو أكثر من الفضول في سؤال "بيتر" عن "جوليان". كرر اسمه وهو ساهم:

- "جوليان ماديسون"... "جوليان ماديسون"... هذا الاسم يذكرني بشيء ما... هل تقصدين الكاتب "جوليان ماديسون"؟

- نعم إنه هو وسيشعر بالفخر لأنك تعرف اسمه.

- لقد قرأت كل رواياته واستمعت إلى المقابلة التي جرت معه في التليفزيون. وقد وجدته جيدا جدا وذكيا ومثيرا للاهتمام ورجلا مليحا أيضا. لماذا لم تتزوجيه؟

لقد لاحظ إذن تفكير الولدين مساء ليلة أمس. ابتسمت في سعادة وسط الظلام وقالت:

- الأمر في غاية البساطة.. لأنه تزوج أعز صديقاتي "سوزي". لقد كان "جوليان" شديد الصلة بزوجي وبعد وفاته كرس كل جهده من أجلي وأجل الطفلين. لقد كان رائعا في مسلكه وأصبحت له أهمية قصوى لدى الطفلين، وقد اعتبرت ذلك أمرا طبيعيا أن أتزوجه عندما طلب يدي. لقد كنت بحاجة إلى رجل مثله وإلى أب لطفلي.

فكرت أن الأزواج والزوجات يمكن أن يصبحوا أصدقاء ممتازين ولكن هل الأصدقاء يصلحون أزواجا ممتازين؟ إنها لم تطرح حتى السؤال في ذلك الوقت عندما فكرا هما الاثنان في الزواج.

- عندما اضطر "جوليان" للرحيل إلى "سان فرانسسكو" لإنهاء آخر رواية له أعطيته عنوان "سوزي" وهي صديقة حميمة لي جدا، وكانت تدير فندقا. ما إن التقيا حتى وقعا في الحب، وفي نفس الوقت عندما ابتعدت عن "جوليان" اكتشفت أن الزواج منه سيؤدي إلى فوضى؛ وهكذا اتفقنا على التخلي عن مشروع الزواج، وتزوج "جوليان" من "سوزي". وهما الآن في منتهى السعادة وينتظران طفلهما الأول، وظللنا نحن الثلاثة أحسن أصدقاء.

ابتلع "بيتر" جرعة من القهوة التي بردت تماما، وفكرت "اليشيا" أنه يريد أن يتماسك. سألها:

- ألا تحسين باي ندم؟

- لا على الإطلاق. أنا أعشق "جوليان" كصديق وظلت "سوزي" أعز صديقة، ولقد كنت في منتهى السعادة أن أكون مصدر هنائهما.

- ألم يوجد رجل في حياتك منذ وفاة زوجك؟

- لا

لقد أجابت بصراحة عن سؤال شخصي تماما. لقد كان صحيحا أن أحدا لم يستطع أن يحتل قلبها منذ وفاة زوجها. لقد حاولت فعلا منذ بداية ترملها أن تعيش حياة مرحة ومنوعة أفضل من حياة امرأة

كرست حياتها لطفليها ولكنها سرعان ما تخلت عن ذلك.

كانت بعض علاقاتها مع أصدقائها من الممكن أن تتحول إلى المشاكل العاطفية أو إلى العلاقة العاطفية الحميمة، ولكن لم تكن هناك أي علاقة جادة ولا مغرية حقا، وأصبحت عمليات الخروج مع الأصدقاء قصيرة ولم تستطع أن تشترك فيها بجدية وقلب مفتوح إلى أن احتمت أخيرا بوظيفتها وتخلت عن العلاقات الاجتماعية، والآن في هذا المساء وسط رطوبة الليل تدرك تماما كم كانت تحتاج إلى رجل يحميها وينصحها رجل تستطيع معه أن تحيا حياة كاملة.

قادتها هذه الفكرة إلى تخيل "بيتر" يقوم بهذا الدور.. دور الحبيب. لقد أحست نحوه بعواطف جياشة متيقظة باستمرار. كيف يتصرف؟ هل هو حنون ومسيطر على نفسه؟ هل هو عنيف ومتوحش؟ ربما كان خليطا من كل هذه العناصر. على أية حال إنه من النوع الذي لا يمكن ألا تكترث به المرأة.

قادتها أحلام اليقظة هذه إلى بعيد. نهضت "اليشيا" مرة واحدة وقالت:

- تصبح على خير يا "بيتر"، وأتمني لك نوما سعيدا.

- وأنا كذلك يا "اليشيا" ولا تنسي أنه يجب علينا النهوض غدا مبكرين، فسنذهب جميعا للصيد.

- لن أنسى هذا فـ"ديفيد" و"آدم" لا يكفان عن الحديث عن ذلك. ولكن مسألة المركب هذه تقلقني فهل أنت واثق من عدم وجود خطر؟

- لا تقلقي من شيء مادمت أنا القبطان.

- أنا أم جبانة.. أليس كذلك؟

- أنت أم حساسة وحنون ومسؤولة.

قاطعته في عصبية:

- حسنا.. أتمنى لك ليلة سعيدة

- "اليشيا".. هل أنت راضية عن البقاء هنا؟

منعتها العتمة من أن ترى ملامح وجهه وتعبيراته ولكنها توقعت

قسوة في نظراته وشبه توسل في صوته الذي ارتفع وسط الجو الهادئ.

- نعم.. نعم.. بالتأكيد أنا راضية.

ودت "اليشيا" أن تعطيه ردا أكثر مرحا وسعادة ولكن كلماتها أخذت نبرة حزينة وملتاعة وشبه متحدية ونطقتها ببطء شديد.

قال:

- حسنا.. أنا سعيد جدا لذلك.

لم تستطع أن تبتعد وأحست بجفاف شفتيها وتسارعت أنفاسها وسألته:

- هل ستظل على عتبة الفيلا؟

قال:

- نعم.. سأذهب لأنام بعد ذلك بقليل.

أغلقت "اليشيا" الباب خلفها وهي تعرف أنها ستجد صعوبة في النوم.

###

لم تكن الشمس التي تسللت عبر النافذة الموارية هي التي أيقظتها صباح اليوم التالي، ولا الضجة المرحة للطفلين وهما يطالبان بالمربى والتوست وإنما السكون التام.. إنه سكون غير معتاد جعل الخوف يغزو قلبها. إنها لا تذكر أبدا صباحا في مثل هذا الهدوء منذ مولد "ديفيد".

قفزت خارج السرير ودون أن تهتم بملابسها شبه الشفافة نهبت درجات السلم. هل رحل الجميع للصيد؟.. لا يمكن لـ"بيتر" أبدا أن يتركها بمفردها دون أن يخبرها برحيلهم. لا أحد في البهو ولا أمام الفيلا.

ظلت "اليشيا" حائرة على عتبة الباب وهي تحاول الفهم وتهدئة مخاوفها. عندما وصلت إلى أسماعها زمجرة صادرة من الداخل استدارت من خلال باب الحجرة الموارب ولمحت "بيتر" يتقلب في فراشه.

كان نائما بمفرده في السرير الواسع. كان من المفروض أن يكون "ديفيد" بجواره: تملكها الخوف.

فتح "بيتر" عينيه ونظر إلى "اليشيا" وهي واقفة في فتحة الباب. رفعت يدها إلى شفتيها في حركة رعب وصاحت:

- "بيتر"!

جلس في سريره والقى بالأغطية بعيدا عنه. اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وقالت:

- لقد اختفى الولدان يا "بيتر".

كرر كلامها وقد بدا عليه الشك:

- اختفى الولدان؟

- نعم.. إنهما ليسا في الفيلا ولم أشاهدهما في الخارج.. أين هما؟

تقطع صوتها وأدرك "بيتر" الموقف إذن. ألقى بنفسه خارج السرير وامسك بالأم المسكينة من كتفيها يحاول طمأنتها دون جدوى:

- لابد أنهما خرجا للنزهة والأمر ليس خطيرا.

- أرجو يا "بيتر" ألا يكونا ذهبا إلى البحيرة. إنهما لا يحسان أبدا بالخطر وهما قادران على القفز داخل مركبك.. يا إلهي!

حاول التسرية عنها.. كانت مرتاعة وضغطت جبينها الملتهب في ذراعه المفتولة حتى تنتقل إليها ثقته بالنفس ولكن إثارتها لم تخف.

قال:

- لنرتد ملابسنا بسرعة ونجر إلى البحيرة.

بعد دقائق معدودة كانا ينهبان درجات السلم المؤدي إلى عتبة الفيلا.

قالت "اليشيا" بصعوبة:

- إن رحلة الصيد هذه حمستهما لدرجة أنها قادران على أن يسبقاك إلى البحيرة.

أمسك "بيتر" بيدها وانطلقا عدوا في الطريق الضيق المؤدي إلى مرسى البحيرة. كان "بيتر" في الليلة الماضية قد صحب الطفلين ليريا القارب، وهو يتذكر الآن حماسهما من فكرة التجديف.

كانت الشمس رائعة وتلمع على سطح البحيرة الهادئة. لمحا البحيرة خلال جذوع الشجر عندما اقتربا ولكن تلك المياه الهادئة لم توح إليهما إلا بمزيد من القلق.

صعد "بيتر" فوق قمة تل صغير وسألته "اليشيا" وهي لاهثة:

- هل تراهما؟

صاح بلهجة انتصار:

- نعم.

من نبرة صوته فهمت أنه كان أشد قلقا منها وإن لم يظهر ذلك. لحقت به "اليشيا" في مكانه المرتفع ونظرت إلى الاتجاه الذي أشار إليه: كان الطفلان جالسين عند طرف الشلال وهما يطوحان بساقيهما وهما يتحدثان بحماس. كانا غير مدركين على الإطلاق لمدى الخوف الذي سببا له.

أمسك "بيتر" بيد "اليشيا" واتجها إلى المرسى. استدار الطفلان نحوهما وانتظرا حتى اقتربا منهما. صاح "ديفيد" في انفعال:

- يوجد على الأقل مليون سمكة في الماء.. لقد رأيناها.. أليس كذلك يا "آدم"؟

قال "آدم":

- إنها تعوم تحت أقدامنا.

تابع "ديفيد":

- هل أنتما مستعدان؟ إن الصنارات في المركب وقد تأكدنا من ذلك.

كان المركب راسيا بالقرب منهما تماما وهو يتأرجح في هدوء مع حركة الأمواج الضعيفة.

ارتجفت "اليشيا".. على الأقل لم يفكر الطفلان في القفز داخله! لقد تلقيا دروسا في السباحة ويعومان جيدا في الماء ولكنهما لم يسبحا أبدا خارج حمام السباحة تحت مراقبة الغطاس.

- لقد مت من الرعب يا "ديفيد" بسببك أنت و"آدم"!

لأول مرة يدرك الطفلان أن أمهما و"بيتر" لا يشاطرانهما حماسهما وانفعالهما.

اختفت ابتسامتهما. قال "بيتر" في قسوة:

- هذا طيش وتهور منكما أن تفكرا في الحضور إلى هنا بمفردكما!

احتج الأكبر في ضعف:

- إننا لم نرتكب خطأ.

- لقد رحلتما من الفيلا دون إذن ولا حتى كلمة شرح وأمكما لم تكن تعرف أين أنتما.. لقد ماتت من الرعب.

تبادل الطفلان النظرات في خوف وقد نكسا رأسيهما والحمرة تعلو خدودهما.

قال "آدم":

- لقد أراد "ديفيد" الحضور مبكرا إلى المركب.

قال "ديفيد" في غضب:

- وأنت كذلك يا "آدم".. أنت الذي أتيت لتوقظني.

قاطعتهما "اليشيا" في لهجة باردة:

- لا يهم من منكما ارتكب هذه المبادرة التعسة ولكن في المرة القادمة فإنني أحذركما بعقاب شديد.

- هل سنرحل؟ هل سنصطاد في الحال؟

- ألم تسمعا ما قالته أمكما؟

كان صوت "بيتر" من الحدة بحيث إن "اليشيا" نفسها أحست ببعض الخوف ومع ذلك أحست بالارتياح والسعادة لقوة سلطته. أخيرا عادوا جميعا إلى الفيلا لتناول طعام الإفطار. جرى الطفلان أمامهما طوال طريق العودة.

صاح فيهما:

- لو وجدنا الأسرة مرتبة عند عودتنا فسأنسى عدم الطاعة الذي حدث.

اختفيا عند أول منحنى وأحست "اليشيا" في الحال باختفاء التوتر الذي عانته طوال الصباح. شكرت رفيقها للمساعدة التي قدمها لها قائلة:

- بفضلك أنا متأكدة أنهما لن يعودا ثانية لمثل هذا. أنت تجعلهما يطيعانك أسهل مني.

- إنهما ليسا طفلي وبالتالي فإن الأمر أسهل.

- ولكنك كنت قلقا وقد لاحظتك.

- فعلا كنت قلقا.. وماذا عنك؟ هل أنت أفضل؟

- نعم وشكرا.

تبادلا نظرة تفاهم حارة. مرة ثانية تعجب "اليشيا" باللون الزمردي الأخضر لعينيه والرموش السوداء الطويلة فوق عينيه. تذكرت منظره عندما أمسكت بكتفيه لتوقظه بعنف. كانت قوة جسده الرجولي قد أزعجتها دون أن تدرك ذلك في الحال.

أحست بالعرق يتسرب في كفيها عندما تذكرت المشهد؛ فاشاحت بوجهها بسرعة وهي راغبة في تجنب نظراته الملحة. وقف "بيتر" وأجبرها على مواجهته. أدركت من سرعة تنفسه ومن بريق عينيه أنه يحس بمثل ما تحسه.

قالت بصعوبة:

- "بيتر"!

سرت فيها موجة من الحرارة من رأسها لقدمها، واجتاحها عالم من الرقة والعاطفة ولم ترغب في مقاومة مشاعرها. إنها لا تستطيع أن تدعي رغبتها في مقاومة ذلك الرجل القوي.

ولكنه فجأة ترك يدها وابتعد قليلا فظلت مسمرة في مكانها وهي مبهوتة وأحست وكأن القوة انسحبت من كل جسدها ثم قال لها:

- هيا بنا نرى ماذا صار الحال بالطفلين؟

كان صوته حادا وكأنه يصدر أمرا. أدار لها ظهره وسار بخطوات واسعة نحو الفيلا، وكان عليها أن تسرع في سيرها لتلحق به؛ أحست بأنها محبطة ومهانة. إنها لم تفعل ما يدعوه إلى أن يعاملها تلك المعاملة الفجائية، ولكن هل يندم على هروبه منها؟ إن صوت العقل يقول لها: لا تحاولي إقامة علاقة مع هذا الرجل الساحر الجذاب ذي السلوك المتقلب. ليس هناك ما يربطها به، وهي لم تخلق من أجل العلاقات العاطفية البحتة والقصيرة التي لا تترك سوى ذكرى مريرة. إذن كل شيء هكذا من صالحها ولكنها وجدت صعوبة في كتم زفرة.

###

حققت رحلة الصيد نجاحا: كان الطفلان يطيعان "بيتر" بمجرد الإشارة ولم يرتكبا أي حماقة. عاد الأربعة ومعهم حوالي كيلو جرام من الأسماك المنوعة، وأنوفهم الأربعة تحولت إلى اللون الأحمر بسبب الشمس الحامية.

قرر "بيتر" بعد الظهر أن يذهب للشراء من السوق القريب. أعدت "اليشيا" بسرعة قائمة بالضروريات المطلوبة ومدتها له ومعها ورقة مالية فئة عشرين دولارا. قطب حاجبيه وأراد أن يرفض النقود ولكنها قالت:

- من فضلك. إنني متمسكة تماما بأن أدفع نصيبي أنا والطفلان.

- إنني استسلم ولكن على مضض.

لاحظت بارتياح أن ما حدث بينهما في الصباح لم يؤثر على علاقتهما ومع ذلك كان عليها أن تعترف أن "بيتر" كان يتجنب أن يلمسها أو حتى الاقتراب منها أكثر من اللازم. لقد اتفقا دون الإفصاح عن ذلك على ألا يظلا بمفردهما بعيدين عن الطفلين بدافع الحرص

أعلنت "اليشيا" أنها تفضل أن تظل في الفيلا لتأخذ غفوة، وكان الرجال -كما كانت تسميهم- ليسوا في حاجة إليها في قضاء المشتريات.

كان "آدم" متحمسا؛ لأنه يعامل معاملة الرجال وأن يترك بمفرده بعيدا عن أمه فلم يعد يستقر على حال من شدة الانفعال. ولحظة الرحيل سألها بأعلى صوته:

- على أي سرير ستأخذين الغفوة يا أمي؟ لو أردت أستطيع أن أقرضك السرير الذي أنام عليه في حجرة "بيتر".. هل هذا يضايقك يا "بيتر"؟

كان "بيتر" يستعد لمغادرة البهو فكتم ابتسامته ثم رفع أحد حاجبيه ونظر إلى وجه الشابة الأرجواني:

- لا بالتأكيد. لن أعارض على أية حال أثناء غيابنا يمكن لأمكما أن تغفو لترتاح في السرير الذي يعجبها.. إنها صاحبة البيت وسيدته هنا.

قال "ديفيد" معلقا ولا تفوته أي فرصة:

- إنك تخافين جدا من الحيات والثعابين والحيوانات التي تعض.

اعترفت وهي تضحك:

- هذا صحيح.

انطلق الطفلان نحو السيارة الجيب وتأخر "بيتر" على عتبة باب الفيلا وسألها:

- هل أنت واثقة من أنك ترغبين في البقاء هنا؟

- نعم.. حقا. نادرا ما أتيحت لي الفرصة أن أجد نفسي وجها لوجه مع نفسي ولا أريد أن أهدر أقل فرصة.

- حسنا جدا.. ولكن لا تنسي ألا تفتحي الباب للغرباء.

راقبت "اليشيا" السيارة الجيب وهي تبتعد وقلبها مفعم بعواطف

مختلطة. إن الهدوء والسكينة والوحدة لمدة ساعة لن تخيفها ومع ذلك ارتفع من أعماقها نوع من الحزن الصامت لا تدري له سببا.

بعد أن أخذت تغسيلة في سريرها استيقظت أكثر هدوءا مما كانت تتوقعه. لاحظت عبر النافذة "بيتر" والولدين -وقد عادا من رحلتهما إلى القرية- يقيمون نيران مخيم بالأحجار المرصوصة على شكل دائرة. لقد اختاروا مكانا على مسافة من البيت ولكن ليس ببعيد عن الغابة.

صاح "ديفيد" بأعلى صوته عندما لمحها في النافذة:

- أمي! سنقوم بشي السمك على فحم الخشب. إن "بيتر" يعرف كيف يفعل ذلك. هل تأتين؟

- هل تم كشط قشر السمك وتنظيف بطونه؟

- نعم.

- حسنا سأحضر.

بينما الرجال يراقبون النيران ويقشرون البطاطس أعدت "اليشيا" فطيرة التفاح.

قال "بيتر":

- أوه.. إنها تبدو لذيذة!

مد ذراعه وغمس أصبعه في العجين ثم رفعه إلى فمه ليمصه. صاحت "اليشيا":

- أنت أسوأ من الطفلين يا "بيتر"!

تظاهر بالغضب، ولمعت عيناه بلون الزمرد الأخضر، ثم انحنى عليها ولكنه فجأة انتصب ثم دار على عقبيه وذهب في اتجاه الفيلا. ظلت "اليشيا" بمفردها حائرة ومحبطة وهي تحاول أن تفهم لماذا استدار هكذا وابتعد عنها فجأة.

تناولوا الطعام في الخارج. لم يسبق للطفلين أن تمتعا أثناء الطعام

من قبل مثلما فعلا اليوم.

كانت انظارهما معلقة بشفتي "بيتر" ينصتان إليه وهو يحكي عن المخيمات التي أقامها في شبابه مع والده وكيف تعلم كيف يبني نارا.

مرة أخرى تحس "اليشيا" نحوه بالامتنان: لأنه كان لطيفا مع الطفلين حينا وحازما معهما حينا آخر وبدونه لما نجحت الإجازة هكذا. إنه يمثل بالضبط ما كان الطفلان يبحثان عنه سرا: وجود رجولي وبطل يقلدانه. من الواضح أنهما رفعاه إلى نفس منزلة والدهما الراحل أو "جوليان".

أما بالنسبة لـ"بيتر" فهو كرجل لم يسبق له أن رزق بأطفال فقد بدا صبورا بلا حدود نحوهما وهو مهتم وواسع الخيال في آن واحد وقد انبهر الولدان أيما انبهار.

بعد العشاء عندما أحضروا كل أدوات المطبخ في الفيلا أمرهما "بيتر" أن يذهبا ليناما. كانت لهجته ودية ولكن حازمة.

قال "ديفيد":

- أوه.. ألا يمكن لنا أن نظل معكما بعض الوقت؟

- لا.. ولكن إذا ذهبتما إلى الفراش دون اعتراض فلربما أحتفظ لكما بمفاجأة صباح الغد.

- ماذا؟

- لن أخبركما بها!

قال "آدم":

- بالتأكيد وإلا لن تصبح مفاجأة.

- فعلا كذلك. اذهبا لتناما ولتحلما أحلاما سعيدة.

أطاع الطفلان، وساد الصمت فجأة بعد رحيلهما.

- هل تريدين مزيدا من عصير الفواكه؟

كانا في البهو الكبير أمام نيران المدفأة المستعرة رغم أن الجو كان لطيفا، وكانت كتل الخشب تطقطق بصوت مرح.. ردت على سؤاله:

- لا.. شكرا.. لقد شربت منه ما يكفي هذا المساء.

- ألا تحبين الشراب المنعش؟ إنه ليس خطرا.

ابتسم كل منهما للآخر وتبادلا نظرات عميقة. طال الصمت وأصبح ثقيلا وضاغطا. تولت "البشيا" مهمة قطعه وكسر حدته عندما نهضت:

- رغم التعسيلة التي نلتها إلا انني لازلت أشعر بالنعاس. شكرا على هذا العشاء اللذيذ. سأقوم بغسيل أدوات المطبخ قبل أن أصعد لأنام.

ما إن خطت خطوة واحدة حتى استدارت لترى "بيتر" يسد عليها الطريق وقد بدا على وجهه تعبير التوتر فقال بصوت خال من التعبير:

- لم يكن من الواجب أن أتمادى في غزلي معك هذا الصباح.

- فعلا لم يكن من الواجب أن تفعل ذلك.

- لن أفعل ذلك مرة أخرى.

- لا.. لا تفعل ذلك ثانية.

- ومع ذلك.. فإنني لن أتمكن من منع نفسي من مغازلتك.

بهتت ولم تستطع أن تقول شيئا أو تفعل شيئا. لقد غرقت في بحر رقته وأخذت تتاوه. لقد أرادت المقاومة ولكنها لم تأت بأي حركة دفاع وهي خاضعة لقوة هذا الرجل العارمة التي قلبت كيانها رأسا على عقب. فجأة انتصب "بيتر" وابتعد عنها.

وقال هامسا:

- اقسم لك أنني لم أحاول أن أحجزك هنا لأحاول إغواءك.

- أعرف هذا.

لقد أصبحت خاضعة لسيطرته بفضل قوة خارقة أقوى منها

قال بصوت منخفض:

- لقد حاولت أن أتجنبك. وأقسم لك أنني فعلت كل ما بوسعي ولكن لم تعد لدي شجاعة.

- يا إله السماوات!

تركها -كما فعل في المرة السابقة- لاهثة الأنفاس وهي تشعر بالمهانة والضياع حتى النخاع. أدار لها ظهره.

استردت أنفاسها بصعوبة بينما الغضب يصعد بداخلها. لم يحدث لها طوال حياتها كلها أن واجهت مثل هذا الموقف. خرج "بيتر" في خطوات واسعة من البهو يحاول أن يستعيد تمالكه لجاشه، وصفق الباب خلفه.

اتجهت مثل المنومة مغناطيسيا نحو المطبخ، ودون أن تعرف بالضبط ما تفعله، غسلت الصحون وأدوات المائدة وصفتها بحركات عنيفة. كان قلبها لايزال يدق حتى يوشك أن ينفجر. لم تكن قد استعادت روحها تماما. إنها لا تفهم شيئا من المشهد الذي جرى من قليل ولكنها تكره "بيتر" من أجل الجرح الذي سببه لها بهجره لها دون شرح.

وقف خلفها في فتحة الباب وقال:

- أرجو أن تعذريني.

أحست بأن كل جسدها ينتفض وكل خلاياها ترتعد في ترقب مؤلم ولكنها لم تتحرك من مكانها. إن الكراهية التي سبق أن أحستها تتصاعد داخلها ضد هذا الرجل رحلت عنها فجأة وأحست بالخجل يصبغ خديها بلون أرجواني.

ردت عليه بحدة:

- لا تعتذر. الحق معك.. لم يكن من الواجب عليك أن تغازلني.. ولنوقف هذه المهزلة حالا!

لم يرد على هذا الأمر اللاذع وإنما رفع إحدى خصلات شعره من فوق

جبينه. ثم مد يده نحو وجهها واجبرها على ان تواجهه. كانت تلك الحركة بها خليط مضحك من الرقة والعنف. تركزت عينا "اليشيا" العدوانية في عينيه. كانت تعلم أنها ستتعذب عذاب جهنم وهي تنظر في عينيه وتسمع همس صوته ولكنها لا تعرف السبب في هذا العذاب!

زفرت.

قال لها:

- من المهم أن تعرفي إلى أي مدى ارغبك. وإذا كنت أهرب منك.. يا "اليشيا" فإن لدي أسبابي الوجيهة ألا أستمر في ذلك.. لقد كنت مخطئا..

كانت الكلمات تخرج بصعوبة من بين شفتيه. اطلق زفرة طويلة وخطا خطوة للخلف. كانت خصلة شعرها الأشقر تتدلى فوق جبينها. أخذ يفحص الوجه المتوتر والمتطلع إليه وكانه استطاع أن يستشف افكارها التي تتصارع خلف هاتين العينين الواسعتين اللتين تنظران إليه في برود. ثم قال أخيرا:

- اصعدي لتنامي.. وسانهي ترتيب الأدوات.

لم تقل كلمة واحدة. وضعت الطبق الذي كانت ممسكة به بحركة رتيبة وبطيئة وخرجت من المطبخ. كانت تعلم انها لن تواتيها القوة لأن تبقى دقائق أخرى في نفس المكان معه. ورغم المواجهة التي أجبرها عليها فهي تعلم انها كان من الممكن أن تفقد صوابها لدرجة أن تطلب منه أمورا من المؤكد ستندم عليها فيما بعد. وايا كانت المشاكل القائمة بينهما.

###

ماهي إذن هذه المشاكل؟

أخذت "اليشيا" ترقب "بيتر" من النافذة بالدور العلوي والفجر بزغ

لتوه. لقد استيقظت بمعجزة قبل طفليها لأنها لم تعتر على النوم.

عاد "بيتر" يستانف رياضة الجري البطيء الصباحية. وكانت ملابسه الرياضية تلتصق بجسده بعد أن بذل جهدا في مزاولة رياضته لابد انه جرى حتى أصيب بالإرهاق التام: لأنه رغم كونه لايزال بعيدا عن الفيلا إلا أن صوت انفاسه اللاهثة وصل لأسماع الشابة.

لابد أن سره رهيب وقاس لدرجة أن يزعجه بشدة ولكن لماذا لا يستطيع التغلب على تلك العقبة التي تمنعه أن يترك العنان حرا لطبيعته البسيطة ولدوافعه الطبيعية ويكون على سجيته.

على أية حال لن تسمح "اليشيا" لنفسها أن تضطرب بسببه. ففي نهاية الأسبوع سيفترق طريقاهما ولن يتقابلا أبدا. إنها هي نفسها لديها مشاغلها الخاصة التي يجب عليها مواجهتها بشجاعة وتصميم.

ومع ذلك عندما رات جسد "بيتر" ينزلق بين الأشجار عرفت أن كل تصميمها سيذهب أدراج الرياح في اللحظة التي يمسك فيها بيدها وسواء قابلته بعد ذلك أم لا، وغازلها أم اهملها فقد اصبح جزءا من حياتها لا تستطيع نسيانه.

كانت المفاجاة التي أعدها للطفلين قد تكشفت عن مكان دراجتين متحركتين بمقعدين. تعلق "ديفيد" خلف "بيتر" و"آدم" خلف امه واخذوا يتهادون حول البحيرة تحت نهار مشرق.

هَطل المطر في اليوم التالي. اخترع "بيتر" العابا داخلية كما لو كان يلعبها طوال عمره. ثم بزغت الشمس ومر النهار بسرعة رهيبة.

أخذت العلاقة بين "بيتر" و"اليشيا" شكل الصداقة المحتملة، وقاموا بزيارة إلى الفيلا المعارة إلى "اليشيا" والتي كشفت أن الخسائر التي سببتها العاصفة قد تم إصلاحها واصبحت صالحة للسكنى من جديد ولكن أحدا لم يقترح عودة أسرة "روسيل" إليها.

وفي صباح يوم قبل يومين من موعد انتهاء العطلة كان الطفلان يلعبان الكرة أمام الشرفة الأمامية بينما أخذ "بيتر" يحتسي القهوة مع "اليشيا". أعلن لها:

- سأبقى اليوم في الفيلا. هل تعتقدين أنه بإمكانك رعاية الطفلين؟

نظرت إليه في قلق وردت:

- بالتأكيد. خاصة أنه لا يجب عليك أن تعتبر نفسك مسؤولا عن طفلي باستمرار.

- إن هذا ليس ما يشغلني. ولكن هذا المساء هناك شخص سيتعشى معي.

فزعت "اليشيا" دون إرادتها واحمرت ارتباكا ثم قالت:

- لقد كان من الواجب أن تخبرني بذلك قبل الآن بوقت كاف.. إننا سنذهب في الحال إلى فيلتنا وسامحني لأننا...

قال وهو يضحك:

- اجلسي.. إنني أعتمد عليكم أنتم الثلاثة في العشاء.

نظرت إليه نظرات متسائلة ولا تعرف ما إذا كان جادا أم هازلا. استأنف الحديث:

- ليس هذا هو ما تتصورين.. إنها ابنتي التي ستأتي للعشاء.

الفصل الرابع

وصلت "كارول رينولدز" في اللحظة التي اختفت فيها الشمس خلف قمم الأشجار. وقفت سيارتها الـ"بورش" الحمراء أمام الشرفة الأمامية وهبطت منها. كانت نحيفة، وشابة ومتفجرة حيوية. استقبلها "ديفيد" و"آدم" اللذان عصيا أمر والدتهما التي سبق وأمرتهما بأن ينتحيا جانبا بعيدا وأسرعا نحو السيارة الرياضية الفاخرة ليعجبا بها عن قرب.

قالت "كارول":

- مرحبا!

اتجهت بصحبتهما نحو الفيلا وجاء "بيتر" لمقابلتها. كانت "اليشيا" قد اعتزلت في البهو ولاحظت الضيق السائد بين الابنة وأبيها. كانت ابتسامة "كارول" مصطنعة ونظرتها قلقة. تذكرت "اليشيا" الأسرار التي باح بها "بيتر" في نفس الصباح عندما أعلنها بحضور ابنته.

- لا.. لا.. لم أخف عنك أن لي ابنة وانني كنت متزوجا ولكننا طلقنا بسرعة كبيرة بعد مولد "كارول" بقليل وتركت الوصاية في يد أمها، وحتى أكون صريحا: انا آسف لانني تركتها هكذا ولكني كنت أعرف أنها ستتربى بطريقة كاملة وممتازة، وقد انتهى بي الأمر بأن أقنعت نفسي أن وجودي في حياة ابنتي لن يكون سوى مصدر إزعاج ومشاكل لها ولأمها، والآن انا نادم وأشعر بالمرارة لأني لا أراها سوى مرة واحدة او اثنتين في العام وهو عدد قليل جدا، ونحن دائما لا نعرف ماذا نقول لبعضنا البعض عندما نكون معا لقد طلبت منها الحضور للعشاء هذا المساء: لانه لابد أن نتحادث في جدية

كان تفسيره هذا قد اثار نقاطا لازالت غامضة خاصة ان فضول "اليشيا" تركز في الحال على زوجته السابقة: هل كانت جميلة؟ إنها لم تتجرأ وتطرح عليه هذا السؤال. والآن و"اليشيا" تشاهد الأب والابنة وهما عائدان إلى الفيلا دهشت من ذلك الحرج الحادث بينهما رغم المحاولات الفاشلة التي يحاولانها للعثور على ميدان للتفاهم.

علق "بيتر":

- لقد قصصت شعرك؟ انا احب تسريحتك الجديدة.

- احقا تقول؟ لقد اعتقدت أن امي ستصاب بأزمة قلبية عندما تراني هكذا. إنها لا تريد مني أن اقصه قبل الزواج.

الزواج؟ اي زواج؟ زواجها ام زواج امها؟ كانت "اليشيا" تتحرق فضولا لتعرف.

قال الأب معلقا:

- إن الموعد يقترب. هل تحسين بالعصبية؟

اه.. إذن هي العروس!

اعترفت المذكورة وهي تضحك.

- قليلا.. ولكني اعتقد أن هذا طبيعي!

قال "بيتر" في تردد:

- لست أدري.. إنه لا يسعدني أن أتخلى عنك.

كانت عينا "كارول" -في لون عيني والدها الخضراوين- قد استدارتا دهشة من ذلك التعليق الغريب. ثم ابتسمت ابتسامة وضاءة: من الواضح أنها لم تكن تنتظر هذا التعليق المفعم بالحب الأبوي.

قالت بعد فترة:

- شكرا على دعوتك.. لقد كنت فعلا في حاجة إلى أمسية بعيدة عن.. كل شيء.

وصل الأربعة إلى أسفل الشرفة الأمامية وقام "بيتر" بعملية التعارف همس "ديفيد" و"آدم" معلقين أن "كارول" كبيرة في السن لقد تصورا أن ابنة "بيتر" -التي علما بقرب حضورها هذا الصباح فقط- في سنهما. بالخيبة الأمل! فهي في الحادية والعشرين! قالت لهما لتسري عنهما:

- ومع ذلك فإنني أستطيع أن العب كرة القدم.

راقبت "اليشيا" المنظر من الداخل وترددت في الخروج.

قالت "كارول" معلقة:

- هذان الطفلان ساحران حقا. ولكن أين أمهما؟

قررت "اليشيا" التغلب على خجلها والخروج لتنضم إلى المجموعة الصغيرة. ما الذي ستظنه "كارول" وهي ترى هذه الشابة الأرملة تعايش والدها في مسكن واحد؟ ومع ذلك كان رد فعل الابنة الشابة في منتهى البساطة عندما قدمهما والدها لبعضهما البعض كانت ابتسامتها صريحة ونظراتها مباشرة.

شرحت "اليشيا" بسرعة الظروف التي أدت إلى وجودهم في الفيلا.

استمعت "كارول" وهي لا تشك إطلاقا في صدق الرواية، ثم حدجت

اباها بنظرة ماكرة وعلقت بمنتهى البساطة دون مكر او افكار خبيثة:

- انت فارس مغوار يهب لنجدة المحتاج لا يهاب خطرا وقلبه طيب.

اقترح عليهم "بيتر":

- ما رأيكم في تناول المرطبات؟

جلسوا حول المدفأة ودار الحديث حيويا ومرحا وسحرت "كارول" الجميع بروحها المرحة، تعاطفت الشابتان معا في الحال ثم اكتشفت "اليشيا" اهتماما مشتركا بينها وبين "كارول" حول رسومات الموضة، وانها تريد ان تصبح مصممة أزياء.

وايا كان الجو المرح الذي جرت فيه المحادثة إلا انه كان من السهل اكتشاف أن تحت المظهر المنطوي لـ"بيتر" وابنته يوجد توتر بينهما، وقد استشفت "اليشيا" في تصرف "كارول" عاطفة عميقة من الحب نحو والدها ولكنها عاطفة مكتومة وخفية.

قال "ديفيد":

- هل يمكن أن نلعب كرة القدم يا أمي؟

كان الطفلان في حاجة إلى التفريج عن نفسيهما. اقترح "بيتر" ان يصحبهما في نزهة تخفف من إثارتهما ولكن "كارول" تمسكت بان تلعب كرة القدم معهما. خرجا من الفيلا معها وهما يصرخان من الفرح. قالت "اليشيا":

- إن ابنتك لذيذة.

قال وهو يتيه فخرا:

- اليس كذلك مثلا؟ ولكني ادرك انني لم اكن على المستوى المطلوب معها. كان من الواجب علي ان اعتني بتعليمها. إن ضميري يؤنبني واخشى ان تحمل لي بعض المرارة والكراهية في اعماق قلبها.

- انا واثقة من انك مخطئ في ظنك. ولكنها في حاجة إلى ان تعرف

انك متمسك بها. هل سبق ان قلت لها إنك تحبها؟

أغرقه سؤالها في دوامة من التفكير.

رفضت "اليشيا" مساعدته لها في إعداد العشاء فخرج لينضم إلى اللعب.

بعد نصف ساعة ذهب الطفلان ليبدلا ملابسهما بعد ان يأخذا حماما. انتهت "اليشيا" من إعداد المائدة وسمعت الأب وابنته يعودان للفيلا.

- لقد كان ذلك في السنة التي قدمت لي فيها الحصان السيسي هدية عيد الميلاد المجيد. هل تذكر ذلك؟ لم يسبق لي ان رايت امي في ثورة كما رأيتها وقتها، ولم استطع الاحتفاظ بالجواد سوى نهار واحد.

- لقد كانت دائما اقل تفاهما.

- هذا صحيح.

دفعا الباب ودخلا وهبط الطفلان في ضجة. كان العشاء مرحا وناجحا، وكانت الفطائر التي أعدتها "اليشيا" قد نالت تصفيقا حادا بالإجماع. أحست بوخز في قلبها وهي تتذكر ان فطائر الليمون كانت الحلوى المفضلة عند زوجها.

بعد الوجبة وافق "بيتر" على اصطحاب الطفلين لجولة في السيارة الـ"بورش"، وبقيت "كارول" مع "اليشيا" لغسيل المواعين. تناقشتا في حماس حول موضة صيف هذا العام ثم حول ثوب العروس التي سترتديه الخطيبة الشابة.

دهشت "اليشيا" من نفسها وهي تحدث "كارول" عن زوجها الراحل "جيم" وعن ترملها وتعليم الطفلين، وقالت بضع كلمات حول "جوليان" و"سوزي". كان لـ"كارول" نفس طريقة ابيها في طرح الأسئلة: المفاجأة ودون إعداد مسبق.

- هل تقيمين علاقة مع أبي؟

سقط طبق من يد "اليشيا" في حوض المطبخ ثم ردت في رقة:

- لا.. لا..!

- هنا.. هل أنا مخدوعة؟

مسحت الأكواب بهمة ونشاط ثم قالت:

- ما الذي جعلك تظنين أنني وأباك..

- ولم لا.. هناك انجذاب شديد بينك وبين أبي.

كفت "اليشيا" عن حركتها المحمومة وأخذت تنظر في الفضاء وقد قطبت حاجبيها.

- ولكن هناك شيئا ما في أبي غير عادي.

- غير عادي؟! ماذا تقصدين؟

- لست أدري. لقد تغير جدا خلال فترة وجيزة، وحتى دعوته للحضور إلى هنا لم تكن طبيعية فنحن لا نتقابل كثيرا، وعادة ما يكون مثارا ومنفعلا، ويريد الذهاب هنا وهناك. اليوم لم يعد كما كان سابقا فهو متأمل وشارد وعاطفي.. لست أفهم.

- هذا لا شك يرجع إلى أنه قدم الضيافة لي ولطفلي خلال العاصفة.

- لا.. لا تصدقي هذا.. إن أبي في حاجة إليك.

- ولكن لا.. أنت مخطئة.

- لست أتحدث عن علاقة عاطفية بينكما وإنما عن حاجته لوجودك ولحرارتك وتفاهمك، واعتقد أنك أنت أيضا في حاجة إليه.

وضعت عودة الـ"بورش" حدا لهذا الحديث من القلب إلى القلب والذي أوشك أن يتحول إلى الاعترافات الشخصية الحميمة. صعد الطفلان إلى سريريهما بعد وداع حار لصديقتهما الجديدة وكان الوقت متأخرا عندما تحدثت "كارول" عن رغبتها في العودة.

قال لها والدها مقترحا:

- ألا يمكنك قضاء الليل هنا؟ نستطيع أن نتصرف في إيجاد سرير لك.

- أمامي محاضرات في الصباح وثوب الزفاف لأجربه.

تبادلت الشابتان القبلات في صداقة حقيقية قبل أن يفترقا. وعدتها "اليشيا" أن تحضر هي والطفلان حفل الزواج، ثم خرج "بيتر" مع ابنته. ظلا يثرثران طويلا في الظلام وظلت "اليشيا" في البهو وظنت أنها سمعت نشيج امرأة ولكنها لم تكن متأكدة من ذلك. ثم هدر محرك الـ"بورش" وأصدرت الإطارات صريرا عاليا وهي تغادر الممر بسرعة.

لم يعد "بيتر" في الحال، وفكرت "اليشيا" أنه ربما كان في حاجة للانفراد بنفسه فقررت الذهاب إلى النوم دون انتظار. ما إن وضعت قدمها على أول درجة من السلم المؤدي إلى الدور العلوي حتى انفتح باب مدخل الفيلا. سألها:

- هل ستذهبين للنوم؟

- نعم. تصبح على خير يا "بيتر".

قال وهو يرفع يده:

- دقيقة واحدة. هل يمكنك أن تسمعيني لحظات؟

أحست بضربات قلبها ترتفع بينما لا يوجد أي سبب للشعور بالاضطراب من هذا الطلب. ربما كانت حساسة من هدوء الليلة والعزلة التي يوجدان فيها هو وهي. لم يكن هناك سوى مصباح واحد مضاء وقد خمدت نيران المدفأة منذ أيام؛ لأن حرارة الجو كانت مناسبة. عادت إلى الأريكة مرة ثانية وجلست وهي ترتجف.

- شكرا على معونتك لي في إعداد العشاء.

- لقد كان ذلك من دواعي سروري.

- لقد سعدت من أجل "كارول" لقضائها تلك السهرة الصغيرة. إن هذا

يعطيها هدنة، وهي محتاجة إليها. إن أمها تدفعها إلى هذا الزواج وأنا لا أحب هذا الاستعجال، واعتقد أنها تشعر بعاطفة نحو خطيبها ولكن لا أكثر من ذلك. إنه يمثل صفقة رابحة وأمها تعطي الأمر أهمية قصوى ولكني أريد أن أجنب ابنتي زواجا فاشلا مثل زواجي.

شرح بعد ذلك ظروف ارتباطه بـ"دوتي" زوجته السابقة: لقد سحرته بجمالها، وكانت تؤمن هي بأنه مهندس المستقبل العبقري. وسرعان ما تحول ذلك الارتباط إلى سوء فهم خاصة عندما قرر هو أن يضع كل ثروته وميراثه في شركة ملاحة جوية؛ لأن ذلك يمثل حياة أقل شهرة في الحال ونهاية للحفلات الباذخة والليالي الأنيقة.

تحول سوء الفهم إلى خلاف جوهري وكراهية عندما اكتشفت "دوتي" أنها تنتظر طفلا. كانت تريد أن تنهي حملها..

- لقد أخبرتها أنني سأقتلها لو حاولت أي شيء في هذا الشأن، واليوم كان ذلك مسلكا لا يغتفر وإن لم أندم على تدخلي. وبعد مولد "كارول" مباشرة اتفقنا على أن ننفصل. لقد حنقت علي واعتبرتني نوعا من الفشل في حياتها.

مرر يده في شعره في حركة متعبة واستطرد:

- ولكني حنقت عليها لأنني تزوجتها. لقد تركت نفسي افتتن بجمالها ووضعها الاجتماعي في "لوس انجيلوس". ولم أكن زوجا جيدا وكنت بالأخص أبا غير صالح. لقد تركت "كارول" تكبر وتصبح شابة بالغة دون أن أتدخل على الإطلاق، وأنا أندم على ذلك بمرارة ولكني أحس أن أمامي واجبا لابد أن أقوم به قبل..

- قبل ماذا؟

- لا يهم.. إنني أريد فقط أن أساعدها في هذه اللحظة التي ستتخذ فيها القرار الخطير بالزواج دون أن تفكر في الأمر، وليس لأن أمها

ألحت إلحاحا شديدا لدرجة اضطرتها للقبول. لقد أخبرتها أن تقف أمام أمها وتواجهها ولكني واثق من أنها لن تستطيع.

- إن "كارول" شابة ذكية ولا يستطيع أحد أن يجبرها على الزواج من رجل لا يعجبها.

- أنت لا تعرفين "دوتي"! إنها ماكرة وجبارة ولا يستطيع أحد أن يقاومها.

- أنت الذي قاومتها؟

- نعم وأحب أن تفعل "كارول" مثلي، وخلال كل السنوات الأخيرة أرحت ضميري بتقديم الهدايا مثل: جواد سيسي أو تلك السيارة الـ"بورش" الحمراء ولكني مدين لها بأكثر من ذلك. إنني مدين لها بدعم حاسم ومساعدة فعالة في الأيام القادمة.

- لا تشغل بالك بها يا "بيتر". إنها فتاة ذكية وحساسة ومتزنة التفكير.

قال ببطء:

- هذا المساء اعترفت لها بحبي العميق لها، لقد تبعت نصيحتك يا "اليشيا".

- وماذا كانت إجابتها؟

- لقد ألقت بنفسها على عنقي وقالت لي وهي تنشج بالبكاء: إنها تحبني أيضا.

- أنا سعيدة جدا من أجلك يا "بيتر" ومن أجلها.

نظر إلى أعماق عيني "اليشيا" وقال:

- أشكرك على هذه الأمسية يا "اليشيا"، لقد كانت ناجحة بفضلك أما بالنسبة لي فقد كان من المهم جدا أن تتحول علاقتي بابنتي إلى علاقة وطيدة وحميمة وخاصة.

- على اية حال يا "بيتر" إنكما سرعان ما ستصلان إلى تفاهم عميق، وكل ما فعلته هو انني أعطيتك دفعة بسيطة.

- ما هو السر الذي يجعلك تعرفين دائما ما يجب أن يفعل والعثور على دواء لكل الآلام؟

ضحكت ضحكة مصطنعة وأجابت بمرح:

- ليس عندي اي سر، ولست سوى امراة انانية. هذا كل ما هناك.

- إنني لا أصدق ذلك على الإطلاق.

- لتعلم انني لم افكر ابدا إلا في نفسي. والآن ادرك ذلك بشيء من العار. لقد كان من الواجب علي ان أكرس المزيد من وقتي من أجل سعادة ولدي وسعادة "جيم" ولكني لم انشغل ابدا إلا بنفسي دون اهتمام بالآخرين، وعندما فقدت زوجي قبلت مساعدة "جوليان" وكانها شيء طبيعي. لقد كرس نفسه من أجلي ومن أجل الطفلين بكرم لم ادركه انا، واي امان بالنسبة لي الا اعرف انه إذا انقلب شيء ما إلى سوء ان ذلك سيكون غلطتي ام لا!

هزت راسها في حزن وترددت في متابعة الحديث، ثم انطلقت في اعتراف صعب:

- لتعلم انه في اعماقي ادرك تماما ان "جوليان" لم يكن يحبني حتى قبل ان يلتقي مع "سوزي"، وكان من الممكن أن افسد حياته واحطم فرصته للسعادة. ببساطة؛ لانني كنت في حاجة إلى رجل مثله في بيتي. يا لها من انانية!

- انت قاسية اكثر من اللازم نحو نفسك، ويجب ان تفكري في الولدين ومستقبلهما.

- هذا هو العذر الذي اعطيه لنفسي ولكن الأمر انتهى بي إلى إدراك انني كنت بالغة وانه يجب علي القيام بدور الأم دون حاجة إلى البحث

عن مساندة من الخارج. ولأول مرة في حياتي أتحمل مسؤولياتي، والآن أنا سعيدة بذلك لولا انني احيانا احس بالوساوس. انا خائفة من المستقبل وحيدة دون مساندة من أحد.

- لا اعرف احدا لم تساوره الوساوس.

أشاح "بيتر" بعينيه.. فكرت مرة اخرى انه سيبتعد عنها بهذه الفجائية التي تتركها مذهولة ومحطمة ولكنه لم يفعل.

امسك بيدها ثم رفعها إلى فمه وقبلها. سالها:

- فيم تناقشت انت و"كارول"؟

لابد انه احس بنبض "اليشيا" السريع وهو ممسك براحة يدها. إنها لم تتعود على هذا النوع من الاستجواب السريع والمفاجئ. ادار وجهه نحوها منتظرا الإجابة. لقد كان شعره فاحم السواد وغزيرا حتى إنها ودت لو دست فيه يدها وداعبت خصلاته الموجودة خلف اذنيه.

- مجرد حديث بين النساء.. لا شيء اكثر.

- اه... الم تحدثك عني وعنك؟

- بل فعلت.

- ما الذي ارادت ان تعرفه؟

لقد نحت المحادثة منحى خطرا. لقد كان الحرص يتطلب من "اليشيا" أن ترد ردا متهربا، ولكنها لم ترغب أن تفعل ذلك ولا اهمية للعواقب وفضلت الصراحة.

- لقد ارادت أن تعرف إن كنا قد تبادلنا الغزل.

- وبماذا اجبتها؟

- بالحقيقة.. إنه لم تقم بيننا مثل هذه العلاقة.

- وماذا كان رايها؟

مررت "اليشيا" لسانها على شفتيها الجافتين، لقد تحول الاستفسار

إلى استجواب بوليسي.

- قالت إن كلا منا يحتاج إلى الآخر.

تمعن في النظر في عينيها. رات في عينيه الخضراوين بلون الزمرد الما وتعاسة جعلت الرجفة تسري في كل أعضائها. همس:

- إنني اتمناك يا "اليشيا" بدرجة لم اتمن بها اي امراة من قبل.. وماذا عنك؟

- اعتقد اننا لن نندم على لحظات السعادة.

كانت تتكلم وهي تضحك وليس ببالها اي افكار خلفية.

تابع حديثه:

- بشرط ان تكون تلك اللحظات عارضة؛ انت تعرفين انني لا أريد.. ولا استطيع ان اندفع في مغامرة عاطفية تهدد بالا يكون للحب مكان فيها.. الحب الحقيقي! إنني لا أريد منك ان تحسي بالالم فيما بعد من مسلكي.. هل تفهمين ما اعنيه؟

- افهم.

- هل انت متاكدة؟ اجيبي علي بصراحة يا "اليشيا".. لابد ان اعرف الآن.

- انا لا أريد ايضا ان يتحول الامر بيننا إلى مسالة تدمي القلب.

- إذن انت تعرفين جيدا اننا نغامر ونحن نعرف العواقب.. اليس كذلك؟

- نعم.

- وهل ستبدين اي ندم؟

- لا مكان للندم.

- إنه وقت قصير نقضيه معا ولا يوجد ما يلزمنا باي شيء كان.. ولا اي ارتباط. وإنما مجرد قضاء وقت ممتع.. اليس كذلك؟

- نعم.

لم تعد "اليشيا" في الحقيقة تعرف ما تقوله. إنها على استعداد لقبول كل شيء والاستسلام بلا قيد أو شرط. لم تعد تطيع العقل او المنطق. كانت فقط تحس بالسعادة بالقرب منه ومع ذلك احست باليأس.. إنها لا تعرف كيف تتصرف.. هل تطيع عقلها أم قلبها؟ لقد ولّد "بيتر" بداخلها أحاسيس وانفعالات ماتت بداخلها منذ وفاة "جيم".

كانت تحس بعاطفة جامحة نحوه ولكن في نفس الوقت تحس بحزن عميق يزداد حدة.

الفصل الخامس

اسندت "اليشيا" راسها على كتفه وهي تستمع إلى كلماته المهدئة

سالها:

- منذ كم من الاعوام مات زوجك؟

- ثلاث سنوات.

- وهل ظللت ثلاث سنوات بدون أحد؟

- ولماذا تطرح علي هذا السؤال؟

مرة ثانية تخشى انها كانت مندفعة، وينقصها البراعة والحرص.

اخذت تتململ في مكانها فابتسم لها والزمها الثبات في مكانها.

قال بإلحاح ردا على سؤالها:

- إنني أحب أن اعرف. هل تبادلت الحب مع "جوليان"؟

- ولكن لا! لقد سبق ان قلت لك على ما اظن.

هزت راسها واحست انها لم تقنعه فقالت:

- لقد كانت علاقتي بـ"جوليان" غير عاطفية وإنما افلاطونية. وكان يسود علاقتنا دائما الشعور بضرورة عدم خيانة "جيم" حتى وهو ميت. ومن حقي أن أحب. لقد كنت انا و"جوليان" اعز صديقين في العالم ولم نكن عاشقين.

احست الشابة بان جسده تصلب فجاة وانفاسه تتسارع. قال لها:

- أنت تكذبين يا "اليشيا".

سالته بلهجة غير مصدقة:

- أكذب؟

- اعتقد انك لست صادقة في كلامك هذه الليلة عندما قلت إن المغامرة العاطفية العابرة التي يمكن ان تقع بيننا لا اهمية لها.

ادار وجهها نحوه وقال:

- إنها ليست مغامرة عابرة التي ترغبينها يا "اليشيا". اليس كذلك؟ هناك ما هو أكثر من ذلك بيننا.

راى في عيني الشابة دموعا تصعد. اعترفت:

- لقد كنت اعلم ذلك منذ البداية.

شرد كل منهما في افكاره ولم يحاولا الإتيان باي حركة حتى لا يضيعا سحر تلك اللحظات الخاصة المميزة. اخيرا اخذ يردد اسمها في همس.

زفرت زفرة طويلة والتفتت إليه وسالته:

- هل انت ايضا تكذب يا "بيتر"؟

نظر إليها طويلا ثم مرر يده في شعرها الاشقر الكثيف. وقال:

- نعم انا اكذب. اكذب على نفسي وعليك.

أصبح الكلام بعد ذلك لا معنى له.

###

لم تكن الشمس أشرقت بعد عندما نهضت "اليشيا" من فوق الأريكة التي كانت جالسة عليها مع "بيتر" وغلبهما النعاس. صعدت إلى غرفتها دون أن توقظ "بيتر" الذي كان نائما مع الملائكة. اندست وسط الفراش وهي تشعر بالسخرية وكأنها لصة. ولكن كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة لتجنب أسئلة طفلها المحرجة.

لم تتح لها فرصة النوم طويلا. وبدا لها أن ساعة واحدة فقط مضت عليها في السرير عندما سمعت "آدم" ينهض ويخرج من الغرفة، ثم سمعت ضوضاء آتية من البهو أعلنتها أن يوما جديدا بدأ وسمعت "بيتر" يسأله:

- لماذا نهضت مبكرا؟ أليس الوقت مبكرا على نهوضك؟ هل أيقظت أمك؟

استعدت "اليشيا" لمواجهة نظرات "بيتر" ونظرات ولديها. لماذا تحس بعقدة الذنب عند استيقاظها وبعاطفة هي خليط من المرح والحزن والعار والأمل والخوف؟ ولماذا تشعر الآن بأنها مختلفة عن الماضي؟

بعد تلك الليلة الصريحة مع "بيتر" أحست أنها لم تعد نفس المرأة التي كانت من قبل. تساءلت من هي هذه المرأة الجديدة التي استيقظت فجأة بداخلها ولها مزاج مختلف تماما؟

سارت تجر ساقيها فوق أرضية الحجرة ومشطت شعرها وزفرت وهي ترتدي جيبا من الجينز وتي شيرت، وهي تخشى مواجهة سكان الفيلا. قررت أخيرا الانضمام إليهم.

كان "آدم" أول من لمحها:

- هل ركلتك يا أمي أثناء الليل؟

ثم استدار الطفل نحو "بيتر" وشرح:

- إن أمي تقول إنني أركلها بقدمي دائما عندما ننام في سرير واحد

ردت عليه "اليشيا":

- لا.. ليس في الليلة الماضية.

تجنبت نظرات "بيتر" الذي كان يصب لها القهوة في قدح. كانت تعرف دون أن تنظر إليه أنه يرتدي البنطلون الجينز والقميص مفتوح الصدر وقدماه عاريتان. دق قلب "اليشيا" بسرعة؛ إنها تعرف كل شيء عن هذا الرجل وعن رقته وقوته ورشاقة حركاته.

قال "ديفيد":

- ماما! أنت حمراء الوجه جدا.

- حقا؟

بحركة حاولت "اليشيا" أن تبدو طبيعية، رفعت يديها وسوت بهما شعرها ولكن راحتي يديها كانتا مبللتين بالعرق.

كرر الطفل سؤاله:

- لماذا أنت حمراء الوجه؟

أحس "آدم" بأن سؤال شقيقه مهم لدرجة أن ذراعه ظلت معلقة في الهواء حاملة الملعقة. ودت "اليشيا" لو أمسكت بـ"ديفيد" الفضولي وسدت فمه أو أخفته تحت المائدة ولكنها اكتفت بطبع قبلة على شعره وهي تهمهم بشرح غير مفهوم. ثم قررت أخيرا أن تقول صباح الخير لـ"بيتر" الذي سألها:

- هل تريدين قهوة؟

أحست بأنه طبيعي ولم يتغير شيء في مسلكه.

- نعم.. شكرا.

جلست أمام المائدة. عاد إلى ذهنها عالم كامل من الذكريات. إنها لاتزال تحس نحوه بنفس رد الفعل الذي أحسته أمس عندما تصارحا بانجذاب كل منهما نحو الآخر. إنها تخاف من نفسها ومن ردود أفعالها

والا تستطيع ان تسيطر على نفسها بالدرجة الكافية.

- هل تحبين ان اعد لك التوست؟

- لا شكرا.. لست جائعة.

- ولا انا.

تبادلا لمدة ثانية نظرة مليئة بالهوس، ثم اشاح كل منهما بنظره بعيدا عن الاخر. كان الإفطار يسير مظهريا كالعادة في هدوء مثل كل يوم والطفلان كعادتهما يطلبان المزيد من المربى واللبن والخبز ولكن "اليشيا" و "بيتر" لا يكفان عن تبادل النظرات.

ركز "ادم" عينيه على علبة الشوفان وقال معلقا بصوت منغم:

- نحن يا امي تماما مثل الصورة التي على علبة الشوفان.

- ما الذي تقوله؟

- انظري

على غطاء العلبة صورة عائلة صغيرة جالسة.. تتمتع بالمنتج من حبوب الشوفان ووجوههم سعيدة.

- الطفلان هما انا و"ديفيد" وها هو الاب وها هي الام.

علق "ديفيد":

- انت غبي.. "بيتر" ليس والدنا لانه لم يتزوج من امنا.

رد "ادم" كعادته مجادلا:

وماذا في ذلك؟ إنه على اية حال نفس الشيء. اليس كذلك يا امي؟

لم تجب "اليشيا" وانتشر التجهم في وجه "بيتر" لدرجة اقلقتها تبادلهما للنظرات في الحال. لماذا مثل هذا التعليق البسيط من الممكن ان يتسبب له كل هذا الاضطراب؟ تملكها حزن رهيب وقالت لنفسها

كفا عن قول هذه الحماقات والعبا في الخارج

نهض الطفلان من أمام المائدة وتوجها ناحية الباب. قال "ادم":

- سيكون أمرا جميلا لو أن "بيتر" كان والدنا. الا تظن ذلك يا "ديفيد"؟

- نعم.. وسنصبح مثل بقية الأطفال، ويمكن لـ"كارول" أن تاتي لتقابلنا وترانا ونحن نلعب كرة القدم، ونستطيع أن نركب سيارتها.

- خبرني يا "ديفيد".. هل ستصبح أختنا أم خالتنا؟

- اختنا.

- حسنا.. ولكنها ستكون عجوزا على أن تكون اختنا.

انغلق الباب خلفهما وأصبح الصمت ثقيلا بالداخل. صب "بيتر" لنفسه قدحا من القهوة بحركات محسوبة وكان العملية تتطلب منه اقصى درجات الحذر. ثم أخذ ينظر في قدحه بنظرات ثابتة بينما تقلص فكاه، واخذ عصب في أحدهما ينبض في عصبية، القى بشعره للخلف بعنف دون داع.

ازعج هذا المسلك "اليشيا" وارعبها ليس لانها خائفة منه ولكن لانها شكت ان كلام طفليها اثار عنده هذا الاضطراب الغريب.

- إنهما ليسا سوى طفلين يا "بيتر"..

ادركت أن نبرتها اتخذت صيغة الشكوى ولكنها لم تستطع أن تغيرها.

ابتسم في برود:

- إن ما قالاه لا صلة له بما جرى بيننا في الليلة الماضية. ثم إن تلك الليلة ليست لها اية اهمية.. اليس كذلك يا "اليشيا"؟

ردت عليه بنفس لهجته:

- في الحقيقة هذا هو ما قررناه، ولا يوجد إذن سبب للعصبية على ما اظن فلا داعي للغضب من لا شيء.

- بل يوجد سبب للغضب.

كان صوته يتفجر غضبا. فكرت أنه من حسن الحظ أن الطفلين يحدثان ضجة شديدة بالخارج وهما يلعبان مما يجعلهما لا يسمعان شيئا.

- بل أنا غاضب ولكن ليس بسبب "آدم". من فضلك يا "اليشيا" حاولي أن تفهمي. أنا غاضب؛ لأننا في الليلة الماضية عرفنا سعادة استثنائية أنت امرأة ويمكنني أن أقع مجنونا بحبك وأعشق أن أكون أبا لهذين الطفلين؛ وهذا هو السبب الذي جعلني أشعر بثورة الغضب.

حدجته بعينين غير مصدقتين إنها لا تفهم شيئا. رفعت ذراعيها في حركة يأس وإحباط. قالت:

- ولكن لماذا...؟

نهض وسار إلى النافذة ولم يجب وقد أعطاها ظهره وأخذ يراقب الطفلين وهما يلعبان فوق الشرفة الأمامية. كانا يكومان أسطوانات من الخشب على جدار الفيلا. أغمض "بيتر" عينيه وود لو استطاع أن يسد أذنيه حتى لا يسمع حديثهما.

- هذا بالضبط كما قال لنا "بيتر" أن نفعل.

- نعم... إن "بيتر" يعرف أشياء كثيرة يا "ديفيد".

- لأنه عجوز. إنه أكبر في السن من أبينا. إن الآباء يعرفون دائما أشياء كثيرة.

- أعتقد أنه سيكون فخورا عندما يرى كومة الخشب.

- مؤكد. إنه دائما فخور بنا. ألم تلاحظ ذلك؟ ثم إنه يقول ذلك لنا كأن يعلم أن خلفه "اليشيا" تنتظر منه تفسيرا، ولما لم يتحرك أخذت المبادرة لتجديد الحوار. كانت تعلم أنه يحب أن يتجاهل هذا التفسير، ولكنها الآن لن ترغب مقابل أي شيء أن تظل في الشك والريبة.

سألته:

- ما الذي حدث لك يا "بيتر"؟ ما هو سرك؟

لا أستطيع أن أبوح لك به.

- هل هي امرأة أخرى؟

استدار نحوها. كانت "اليشيا" تقف أمامه مباشرة وعيناها الزرقاوان الواسعتان تعكسان انفعالها. تبادلا نظرة طويلة سببت اضطرابهما ثم قال بخشونة:

- أحب أن يكون الأمر بهذه البساطة: أن أعيش معك بجوار بعضنا البعض ليلة بعد ليلة وأن أتخلى عن أي امرأة أخرى في العالم.

- ولكن لماذا إذن..؟

- أفضل ألا تعرفي.

- يبدو لي أن من حقي أن أعرف. بعدما حدث بيننا وبعد التفاهم الذي أحسه كل منا نحو الآخر نستطيع أن نتشارك في كل شيء وأن يعرف كل منا عن الآخر كل شيء.. أليس كذلك؟

- لا يا "اليشيا" اتركي لي سري.

- سر بعد كل السعادة التي عرفناها؟ كيف يمكنك أن تتصور أنني أستطيع أن أتأقلم على ذلك؟ أليست لك ثقة في إذن؟

- في الليلة الماضية نسيت يا "اليشيا" تماما كل ما ليس أنا أو أنت ولكن هذا الصباح لابد من أن أواجه مشاكلي وأريد أن أتركك خارجها. إنه أمر سهل.

- سهل؟ سهل؟ وأنا أحمل في أحشائي ثمرة حبنا؟

تراجع "بيتر" للخلف وعيناه تطلقان شررا. كانت كل الدماء قد انسحبت من وجهه ونظر في رعب إلى يديها اللتين عقدتهما على بطنها وهي تنطق كلماتها الأخيرة.

- يا إلهي! ألم تتخذي حذرك؟

هزت رأسها علامة النفي وقد أحست بالجرح من عدائه الذي أحسته في سؤاله. انفجر:

- ولماذا لم تخبريني؟

- لا أذكر انك سألتني عن ذلك.

صعد صوته. إنها لن تترك العنان لدموعها! ومع ذلك نهرها بأسى مخيف وهي تفكر في نتيجة ذلك الحب المستحيل الذي أصبح أطلالا.

قالت له بخشونة:

- لا تخف يا سيد "رينولدز". إنني لن أحاول أن أكبلك بطفل فوق ذراعي.

ثار غاضبا:

- ليس هذا ما يزعجني. إنني لا أريد أن أتركك حاملا في طفل.. هذا كل ما هناك.

- تتركني؟ أنت تريد أن تتركني؟

بدا تعبير حزين لدرجة رهيبة على ملامح "بيتر" القاسية. تعبير لم تفهم هي معناه! أحست بالمهانة والضياع فلجأت إلى الغضب الذي يمكنها أن تظهره أمام تصرف لم تكن تتوقعه. يا للخيبة! يا للخداع!

قال برقة:

- نعم. أنت كنت تعرفين ذلك من البداية.. أليس كذلك؟ لقد حذرتك منذ أن قابلتك أن علاقتنا مهما كانت لا يمكن أن تدوم سوى ثمانية أيام هي عمر العطلة. أنا لم أخدعك يا "أليشيا"!

في الحقيقة كان عليها أن تعترف أنه تصرف بشرف في هذا الشأن ما الذي قاله بالضبط؟ أنا لا أريد ولا أستطيع أن أندفع في أي مغامرة فيها الحب له المكان الأول. لم تأخذ "أليشيا" هذا التحذير مأخذ الجد ولكنها كانت تعرف أيضا أن بينهما شيئا غير تبادل بعض العواطف

المتأججة. كان الأمر بالنسبة لها عطاء كاملا ولكن بالنسبة لـ "بيتر" من الواضح أنه لم يكن هناك سوى إشباع نزوته. حسنا جدا. ليذهب إذن إلى الجحيم! وحتى تحافظ "أليشيا" على القليل من احترامها لنفسها أدارت له ظهرها وابتعدت وبينما انسحب "بيتر" إلى حجرته قامت بغسل المواعين: لا يجب بأي حال من الأحوال أن يلومها على أنها هي وطفلاها استغلوا ضيافته.

عندما انتهت ذهبت لتطرق الباب عليه ثم دخلت. وكان لايزال نائما على السرير ووجهه نحو السقف وكفاه تحت رقبته

وقالت:

- ساعود أنا والطفلان يا "بيتر" إلى "لوس أنجيلوس" هذا المساء. وهذا يختصر إجازتنا نهارا ولكن نظرا للظروف أعتقد أن هذا هو الحل الأمثل.

لم يتحرك ولم ينظر إليها ولو لحظة. سألته بصوت غاضب:

- "بيتر"؟

أدار رأسه نحوها ولكنه لم يقل كلمة. أوشكت أن تنفجر منتحبة. كل ما في أعماقها كان يأمل شرحا يسوي كل شيء ولكن لا! ظل صامتا كالتمثال يخفي عنها سرا مجنونا. خرجت من الحجرة وصعدت الدرج وبدأت بسرعة تحزم حاجاتها وحقائبها.

قال "ديفيد" مزمجرا وهو جالس على المقعد الخلفي للسيارة

- كل هذا غلطتك.. إنه يحبنا أنا و"آدم" ولكنك لم تكوني لطيفة معه

- اخرس!

- وفي النهاية فاض به الكيل وها نحن نرحل.

تمنت "أليشيا" لو أن الطفلين يصمتان! لم تكن لديها سوى رغبة واحدة وهي نسيان كل شيء ولكن مستحيل مع لوم الطفلين اللذين

اصابهما حنق رهيب لاختصار الإجازة اللذيذة. لم يكن عليها أن تتحمل سخافاتهما فحسب وإنما أيضا كان من الضروري أن تكتم دموعها التي صعدت عينيها.

آه فقط.. لو أنها لم تحب "بيتر"! لو استطاعت أن تتركه بنفس عدم الاكتراث الذي أظهره عند رحيلهم! إنها مدركة أنها تحبه وأن هذا الحب يجعلها تعيسة.

###

عاشت "اليشيا" الأيام التي تلت عودتها إلى "لوس انجيلوس" في كابوس حقيقي ومع ذلك فقد كان بانتظارها خبر سار لقد وضعت المديرة ابنة جميلة. دون تفكير مسبق أخذت "اليشيا" في الحال وضعها لإدارة الشركة التي هي عبارة عن بيت أزياء شهير. القت بكل ثقلها في العمل وقضت به ساعات طويلة مرهقة، ووجدت في ذلك بعض السلوى عندما تعود إلى بيتها منهكة لدرجة لا تسمع معها اي شكوى من طفليها حول إجازتهم المختصرة، وتعودت أيضا على أن تسمعهما باستمرار ينطقان اسم "بيتر" وبلا انقطاع. لابد أن تطوي الصفحة! لابد أن يختفي "بيتر" من ذكرياتها وأن ينتهي الأمر بالطفلين إلى نسيانه هما أيضا ولكن الأيام مرت دون أن تخفف من آلامها.

في صباح يوم من الأيام انهمكت في ديكورات إحدى فترينات العرض بالحانوت. كانت قد ابتكرت نوعا من الأحزمة تظهر جمال أطقم ملابس الرياضة. لقد كانت ناجحة تماما في عملها وقد أبدى لها مديرو الشركة رضاهم برفع راتبها بدرجة ملحوظة. نعم إنها تعرف كيف تكون على مستوى المسؤوليات الجديدة الملقاة على عاتقها.

بعد أن أعجبت بالطاقم الرياضي الفني في الفترينة صعدت إلى مكتبها. كانت منهمكة في دراسة مجموعة الشتاء عندما رن جرس

التليفون:

- السيدة "اليشيا روسيل" من فضلك!

- إنها أنا.

- أنا أتحدث معك يا سيدة "روسيل" من عيادة "سان جورج". إن ابنك عندنا.

اعتقدت أن رئتيها لم تعودا تتنفسان الهواء وأصبح كل جسدها كتلة من الثلج. قالت:

- ابني؟

- ابنك "ديفيد" لقد وقعت له حادثة في مدرسته وقد نقلته إلينا حالا عربة إسعاف، وقد قمنا بإجراءات إدخاله المستشفى و..

- هل هو في خطر؟

- ليس الأمر خطيرا.. وأؤكد لك ذلك ولكن ابنك يطلبك. هل يمكن الحضور حالا؟ نحن في حاجة إلى توقيعك من أجل إجراءات دخول المستشفى والعلاج.

- سأصل.

أخبرت -وهي مارة في المحل- الجميع أنها ستذهب إلى المستشفى ثم هبطت الدرج بسرعة البرق واندفعت خارج العمارة إلى سيارتها. قادت العربة وكأنها منومة مغناطيسيا او كإنسان آلي وقد انكمشت يداها على عجلة القيادة وعيناها مثبتتان أمامها. هل كسرت له ذراع؟ هل شج رأسه؟ هل تحطمت ضلوعه؟ أخيرا دخلت السيارة حديقة المستشفى وانفتحت الأبواب الأوتوماتيكية أمام "اليشيا" التي أسرعت عدوا إلى الاستقبال.

- أين هو "ديفيد روسيل"؟

سألتها الممرضة النوبتجية:

- هل أنت أمه؟

- نعم.. أين حجرته؟ لقد حضرت بأسرع ما أمكنني.

أوشكت أن تضرب الممرضة لبرودة أعصابها وبطء حركاتها وعدم تفاهمها.

- إنه تحت الملاحظة حاليا بالحجرة رقم ٥ في الدهليز. سأعطيك الاستمارات لتوقيعها ليدخل تحت العلاج.

أرعبت النماذج والاستمارات "اليشيا". هل سيتركون ابنها يموت لمجرد نقص توقيعها أسفل ورقة مطبوعة؟ جرت في الدهليز دون أن تنال تصريح الممرضة، ودخلت الحجرة رقم ٥ بعد أن دفعت الباب. كان أول ما وقع عليه بصرها هو ضمادة ملوثة بالدماء على الأرض؛ أصابها الغثيان ولكنها نجحت في التماسك.

- "ديفيد"؟

استدار رجل كان منحنيا على السرير الأبيض نحوها؛ كان "بيتر رينولدز"!

الفصل السادس

صاحت "اليشيا":

- ماذا تفعل هنا؟!

- لقد جعلهم "ديفيد" يتصلون بي.

سُمع صوت تأوهات. أحست "اليشيا" بأن قلبها تجمد. بعد الصدمة التي سببها وجود "بيتر" في غرفة المستشفى أوشكت صرخة الطفل أن تصرعها. كان "ديفيد" فوق السرير الصغير يناديها بصوت منخفض، وكانت عينه اليسرى تقريبا مقفولة، وظهر خط دام وسط حاجبه. لم تكن الدماء تسيل ولكن الجرح كان مفتوحا بطريقة لا تطاق أمام عيني الأم.

- "ديفيد" يا عزيزي! ما الذي حدث لك؟ أوه يا إلهي! هل تتألم؟

- نعم يا أمي.

كانت يده تتحسس غطاء السرير الأبيض بحثا عن أمه. أمسك بطرف

الوشاح الذي القت به على كتفيها قبل أن تطير إلى المستشفى.

- أعرف يا عزيزي أنك تعاني.

كان القلق قد اصابها بالجنون فرفعت عينيها نحو "بيتر" تساله:

- لماذا لا يعالجون "ديفيد"؟ أين هم الأطباء؟ لابد من علاج عينه في الحال.

هز راسه قائلا:

- لم يكن لدي سلطة توقيع الاستمارات التي تسمح بالبدء في العلاج ولكن اطمئني؛ لأن "ديفيد" يرى بعينيه الاثنين وقد تاكدت من ذلك.

- حمدا لله وشكرا.. إننا سنخرجك بسرعة من هنا وهذا وعد مني بذلك.

- لا تتركيني يا أمي.

كان يبكي هلعا عندما سحبت أمه يدها:

- بالتاكيد لن اتركك يا عزيزي ولكني سأذهب لاحضر الطبيب.

دخلت الممرضة في تلك اللحظة بالذات وهي نشيطة وجافة ومتسلطة وقالت:

- يا سيدة "روسيل" هل يمكن أن توقعي على هذه الأوراق من فضلك.. شكرا.. والآن هل يمكن أن تعطيني اسم شركة التامين ورقم الشرطة التابعة لها وساعطي "ديفيد" حقنة لاخفف آلامه.

كان "ديفيد" يبكي ويصرخ في آن واحد:

- لا اريد حقنة!

تدخل "بيتر" وقال:

- هيا.. هيا.. وماذا عن الوعد الذي قطعناه على انفسنا أن نكون شجعانا.. هل نسيت؟

وضع يدا حانية على كتف الطفل. أخذت "اليشيا" تفتش في حقيبة

يدها بحثا عن الأوراق التي طلبتها الممرضة. وأخيرا استطاعت أن تقدم المعلومات وتوقع الاستمارات.

أعدت الممرضة الحقنة الخاصة بالمخدر وقالت:

- إنك لن تحس بشيء.. أعدك بذلك.

التفت "بيتر" و"اليشيا" إلى "ديفيد" الذي كان يكز على اسنانه في شجاعة. ثم خلعا له بنطلونه وكشفا عن خلف فخذه. انفجر الطفل في النشيج. وأخذ قلب "اليشيا" يؤلمها.

قالت الممرضة وهي تسحب الحقنة:

- والآن سننتظر حتى يحدث تاثير الحقنة. ثم نطلب من الدكتور "بندكت" أن يفحصه.

قالت "اليشيا" في غيظ:

- كيف هذا؟ أريد أن يتم فحص ابني في الحال! ما الذي تظنين أن تفعليه بتركه هكذا دون شخص مؤهل يعتني به؟

قال "بيتر" بصوت مهدئ:

- "اليشيا".. لقد سمحت لنفسي باستدعاء الدكتور "فرانك بندكت" وهو صديق لي وجراح ممتاز للتجميل: نظرا لوضع الجرح فإن الأمر يحتاج إلى رعاية خاصة حتى لا يترك أثرا للجرح فيما بعد.

تاوهت بصوت منخفض:

- أوه.. بالتاكيد. بالتاكيد. لقد كنت سافعل نفس الشيء.. كان علي أن افكر في ذلك.. شكرا.

خرجت الممرضة وهي تلقي نظرة قاسية على "اليشيا" الملتاعة. لابد انها حكمت عليها بانها أم سيئة؛ لانهم لم يتصلوا بها مباشرة وقد وقع لابنها حادث. وإذا لم يكن "بيتر" هو الأب فهو دون شك العشيق.

لم يكن الطبيب المناوب كما توقعته "اليشيا" فقد كان رجلا شابا جدا

يرتدي الجينز تحت معطف أبيض وحذاء من النوع الرياضي، وكانت حركاته مرحة اكثر من اللازم وغير مكترث، ومع ذلك نجح في أن ينتزع ابتسامة من الجريح عندما سأله بمرح:

- آه من منكما هو "ديفيد"؟ لا.. لا يجب أي منكما في الحال.. دعني أخمن! أليس هو ذلك الصبي الكبير الذي يضع ضمادة على عينيه؟

استطاع هذا الحديث أن يجنب "ديفيد" التجهم في ألم عندما قامت يدا الطبيب بمهارة بتنظيف الجرح بالمطهر ولكن عندما انفتح طرفا الجرح كشف عن عمق الجزء المجروح الدامي. ارتجفت "اليشيا" واقشعر بدنها واحست بتمزق في أعماق معدتها مما اضطرها للاستناد على الجدار، ولولا ذراع "بيتر" القوية سندتها لانهارت على الأرض.

- تشجعي.. كل شيء سيكون على ما يرام.

ألم يرن صوته بحزم مطمئن في أذنيها؟ كيف استطاعت الاستغناء عنه طوال تلك الأسابيع؟ لقد كانت يداه رقيقتين ومطمئنتين، لقد أزال عنها الخوف والهواجس والشكوك، وتذوقت لدقائق ذلك الشعور اللذيذ بالقرب منه وبالإحساس بيديه فوق كتفيها ثم قالت:

- هل طلبك "ديفيد"؟

- نعم.. عندما لم تستطع المدرسة الاتصال بك أعطاهم اسمي واسم شركتي.

- لقد كنت أقوم بفحص فتريات حانوتي.

- ليس هناك ما تلامين عليه. فليس هناك شخص يرابط طوال الوقت بجوار التليفون توقعا لمكالمة عاجلة. عندما أخبرني مدير المدرسة أن "ديفيد" وقع له حادث وأنه سينقل إلى المستشفى أسرعت إلى هنا.

- أنا شاكرة جدا وآسفة.

- آسفة؟ لماذا تأسفين؟

- إيه.. حسنا.. لأنك تورطت في موضوع المستشفى هذا وأنك اضطررت لأن تقوم بدور...

أشاح برأسه وحكمت أنه لابد يسب ويلعن داخليا. ثم عادت نظراته إليها يشوبها مسحة غضب.

بحذر شديد تحولت بالحديث عن مساره الشائك وقالت:

- أنا لم أعرف بعد ماذا حدث لـ"ديفيد".

- بعد الفسحة مباشرة.. كان التلاميذ يتشاحنون كعادتهم. دفع واحد منهم باب فصل "ديفيد" الذي كان موجودا بالضبط وراءه فاستقبله في عينه تماما.

غطت "اليشيا" فمها بيدها.. يا للمسكين "ديفيد"! إنها تتمنى ألا يترك الجرح أثرا مخيفا! كانت يدا "بيتر" تمسك بيديها بقوة يحاول أن يهدىء من روعها وقال:

- أؤكد لك أن كل شيء سيكون بخير.

اختفى مزاجه المعتدل في الحال. تبادلا مع الجراح بضع كلمات والذي أكد لهما أن "ديفيد" لن يحتفظ بأي أثر للجرح، وأنه سرعان ما سيقف على قدميه. ثم خرج من الحجرة.

بدا الجريح ضعيفا هشا في ملابسه البيضاء وسريره الأبيض.

ظهرت آثار المخدر وإن استجمع "ديفيد" كل ما تبقى لديه من قوة ليسأل:

- أنا لم أفعل ذلك عن عمد يا أمي ولكني لوثت بالدماء بلوزة الآنسة "لوبكنز".. هل تعتقدين أنها ستعاقبني؟

ترقرقت الدموع في عيني "اليشيا" وسالت على خديها ومع ذلك نجحت في أن تبتسم.

- لا أظن ذلك يا عزيزي.. على أية حال سأقدم لها واحدة جديدة.

- لا شك أنه من المزعج أن جعلتك تتركين عملك وسط النهار.. أليس كذلك؟

- لا شيء يهمني أكثر منك.

- هذه أول مرة أعالج فيها في مستشفى.

- نعم. ولكنك ولدت في مستشفى.

- أنا سعيد لأن "بيتر" حضر.. هل أنت كذلك؟

- نعم أنا كذلك يا حبيبي.

لم تتردد في الإجابة.. ابتسمت لـ"بيتر" ورد عليها ابتسامتها وفي عينيه إجابة أكثر من مجرد صداقة. قوطعت لحظات الانفعال هذه فجاة بوصول الدكتور "بندكت": كان رجلا بدينا مكورا في الأربعين من عمره، اصلع وشديد الحيوية، وكان مظهره متعاطفا ولطيفا. أحست "اليشيا" في الحال بثقة تامة عندما صافحها.

خلال دقيقة كان الجراح قد بدأ العمل. فحص عيني "ديفيد" واتخذ في الحال قراره:

- ساقوم بتخديرك تخديرا خفيفا ثم اخيط لك الجرح بالطريقة السليمة يا بني.

- حقنة؟!

- صغيرة جدا لدرجة أنك لن تحس بها وبسرعة ساقرب طرفي الجرح بإبرة وخيط. هل تعرف ما هو الخيط الحرير؟

- الحرير؟! مثل بلوزات أمي؟

- بالضبط ولكنه حرير ارق وانعم بكثير.

كان الجراح وهو يتحدث قد شمر كمي قميصه ثم غسل يديه ثم التفت ناحية "اليشيا" و"بيتر" اللذين ابتعدا عن السرير أثناء الفحص.

- ما رايكما لو انتظرتما في الخارج؟

- ولكني.. ولكني أريد البقاء بجوار ابني يا دكتور!

- إن الأمر سيكون أسهل بالنسبة لي يا سيدة "روسيل" لو كنت بعيدة عني.. أؤكد لك ذلك.

نظرت إلى "بيتر" متسائلة ولكنه كان من رأي الطبيب. أمسكت بيد "ديفيد" وضغطت عليها.

- عندما أعود إليك يا عزيزي كل شيء سيكون قد انتهى ولن تعاني بعد ذلك.

قبلته على جبينه وتركت "بيتر" يسحبها إلى الدهليز. حضرت ممرضة ومعها صينية وضعت عليها الأدوات الجراحية ذات الشكل المخيف: مما جعل قلب "اليشيا" يقشعر. سالت بصوت متضرع:

- هل تظن أن كل شيء سيمر على خير؟

رد عليها "بيتر":

- نعم.. إن "فرانك" جراح بارع في جراحات التجميل ولديه اربعة أولاد يعرف كيف يتعامل معهم.

- إن "ديفيد" يبدو شديد الضعف!

- أعرف هذا لدرجة أنني أحسست بالمرض عندما رأيته عند وصولي إلى هنا وذلك الجرح المخيف على وجهه.

اخترقت صرخة شاكية مصراع الباب تلاها تاوهات. سارعت "اليشيا" واندفعت نحو الباب واوشكت أن تفتحه عندما أمسكت بها ذراع "بيتر" القوية. ثبتها من كتفيها وهي تصارع للإفلات من قبضته. ثم القت براسها على كتف "بيتر". تملكت الرجفة كل جسد الشابة ثم أخذت تهدأ شيئا فشيئا وهي مستندة على جسد "بيتر" الذي يشبه الصخرة.

كف "ديفيد" عن التاوه وسمعا بضع كلمات من الطبيب دون أن يفهما معناها ولكن "اليشيا" استشفت منها لهجة الإعجاب. لم تكن قد اطمانت

بعد

قال لها وهو يحاول التسرية عنها

- انت فاتنة اليوم.. هذه أول مرة أراك في ثوب

أضحكها التعليق وطرد مخاوفها وقالت:

- فعلا. لم أرتد أبدا ثوبا في الفيلا فقد كنت دائما بالبنطلون الجينز أو بالشورت وهو زي لا علاقة له ببيت أزياء راقية، ولا علاقة له بالثوب الذي أرتديه اليوم.

- انا احبك سواء بالشورت او بالثوب فانت دائما رائعة الجمال.

- هل هذا صحيح؟

- نعم هذا صحيح.

- ولكني لم أرك أبدا في بنطلون صوف وسترة وربطة عنق كما أراك الآن.

- وما رايك؟

ابتعدت عنه قليلا لتتامله. لم يسبق لها أن رات في حياتها رجلا مثله يجسد الجمال الرجولي ليس فقط لأن ملامحه كلاسيكية فحسب ولكن ايضا؛ لانه يمتلك شخصية وسحرا يعلوان على اي شخصية عرفتها. خاصة انه كان لايزال يحمل اثار الشمس التي لوحت بشرته البرنزية. ودت لو قالت له: إنه ظل بالنسبة لها دائما مليحا بالبذلة وبدونها، وودت لو قالت له ايضا إنها كانت في منتهى السعادة؛ لانها قابلته ثانية. كيف يمكنها ان تفسر ظهوره المفاجئ في حياة اسرة "روسيل"؟ ثم لماذا تطرح اسئلة؟ إنه القدر وهي في منتهى السعادة بجواره وتتمنى لو تظل هكذا للأبد.

***

بعد نصف ساعة جاءت الممرضة بحثا عنهما؛ لقد تم التدخل

الجراحي و"ديفيد" يرقد مستريحا في نوم عميق وضمادة بيضاء على عينه اليسرى قال الطبيب:

- كل شيء انتهى على خير ما يرام، وإذا اشتكى من بعض الاضطراب في الرؤية في الأيام القادمة فلا تنزعجا ولكني أعتقد أن كل شيء سيكون بخير. على أية حال ساتابع تقدم العملية.

قال "ديفيد" بصوت يغلبه النعاس:

- هل ساظل احمل الضمادة على عيني غدا عندما أذهب إلى المدرسة يا أمي؟

قال الطبيب:

- ستحصل على عدة أيام راحة يا بني إلى أن يتم شفاؤك.

- كم قلت لي عدد الغرز التي صنعتها لي؟

- فقط سبع هي الظاهرة إلى جانب بعض الغرز القليلة الخفية. ويمكنك أن تفخر امام أصحابك دون كذب بانها دستة غرز.

- رائع وشكرا يا دكتور.

التفت الطبيب نحو "أليشيا" وقدم لها بعض التعليمات حول رعاية "ديفيد"، وكتب لها روشتة بمضاد حيوي. ثم صرح بالخروج الفوري للمريض إلى داره.

قال له "بيتر":

- شكرا يا "فرانك" لحضورك بهذه السرعة

رد الطبيب في مرح:

- ليست هناك أي مشكلة ثم سارسل لك الفاتورة.

- لا.. إن فاتورة الأتعاب لابد أن ترسل إلي انا.

أذهل تدخل الشابة الرجلين. خرجت الكلمات من فمها دون إرادتها. أدركت في أسف مدى تاثير ما فعلته. ياله من تعليق غبي واحمق!

- حسنا.. حسنا.. مفهوم يا سيدة "روسيل".. إلى اللقاء يا "بيتر".. إلى اللقاء يا "ديفيد" وساراك الأسبوع القادم لفك الغرز. وأنت يا سيدة "روسيل" اتصلي بي تليفونيا خلال أيام لتحديد موعد.

- مؤكد يا دكتور وشكرا مرة أخرى على الجراحة.

كان شعورها بالحرج واضحا وكان وجهها أحمر حتى جذور شعرها. ما الذي يمكن أن يتخيله الدكتور "بندكت" حول علاقتها بـ"بيتر"؟ وما هي طبيعة تلك العلاقة بالضبط وهي نفسها تبدو وكأنها تسبح في الضباب؟

لم يرغب "ديفيد" أن يحمله "بيتر" حتى السيارة لكنه سار بشجاعة بينه وبين أمه وإن لم يكن صلبا على ساقيه. فتح "بيتر" باب السيارة ومدد الجريح على الأريكة الخلفية ثم أغلق الباب.. كانت "أليشيا" واقفة في انتظاره:

- شكرا يا "بيتر" على كل ما فعلته.

- ساصحبك إلى بيتك.

- لا داعي لذلك.

كز على أسنانه دليل غضبه ثم أمسك أخيرا بذراع "أليشيا" وأخذها بعيدا. وقال:

- كفي عن الوقوف موقف الدفاع! إن "فرانك" كان يمزح بالنسبة للأتعاب.

ردت عليه وهي تحاول التخلص من قبضته:

- أعرف ذلك. ولكني فهمت ذلك بعد فوات الأوان وأنا آسفة على ذلك. لم أرغب أن يظن صديقك الطيب أن.. أن..

سألها وهو لايزال يشدد قبضته:

- يظن ماذا؟ أجيبي!

- أنني من هذا النوع من النساء المسكينات اللاتي في حاجة لأن تدفع فواتيرهن.. باختصار لا أريد أن يظن أنني عشيقتك.

صاح في غضب عارم:

- يا للحماقة! ويالها من كلمة بذيئة وغريبة مأخوذة من إحدى روايات القرن السابق!

- أنت تعرف تماما ماذا أقصد.

- نعم أعرف.

ترك ذراع "أليشيا" ومرر يده في شعره، ثم تابع حديثه في غيظ وحنق:

- أنت لا تستطيعين أن تمنعي الناس من الوصول إلى هذا الاستنتاج، وكذلك يجب ألا تلومي نفسك عليه أو تشغلي نفسك. نحن نعرف تماما أنا وأنت أننا لسنا مرتبطين بهذا النوع من العلاقة.

أعلنت بصوت جاف:

- فعلا... والله وحده يعلم أنك قلت لي هذا مرة ومرة ومرات! ولكن إذن لماذا أنت هنا؟ ولا تلمني إذا تمسكت بالدفاع عن نفسي! أنت وعيناك اللتان لا تتحدثان إلا عن الرغبة عبر مائدة الطعام في الإفطار، ولا يمنعك ذلك من اتهامي بأنني أردت الإيقاع بك في الفخ بطفلي الذي في أحشائي.

- لا إطلاقا.. أنا لم أتهمك إطلاقا بمثل هذا.

- أحقا ما تقول؟ هل نسيت الأمر بسرعة؟

- إن ذلك الاحتمال كان يخيفني عليك وليس علي.

- يا للشهامة والبطولة! أعتقد أنني سمعت هذا الحوار في إحدى الروايات الميلو درامية.

- ومع ذلك فهي الحقيقة.

- إذن الأمر كذلك! أنت تحس بالشفقة على الأرملة المسكينة وطفليها.

- اسمعيني يا "اليشيا".

- لا.. لقد سبق لك أن قلبت حياتي رأسا على عقب! ولن ارغب بعد ذلك في الوقوع في الفخ مرة ثانية. انا لا اصدق تعاطفك وبرك وإحسانك وشفقتك.

- سميه كما تريدين.

كانت تود أن تقول إنه الحب ولكنها لم تكن لتنطق الكلمة مقابل مال الدنيا، ومع ذلك كان الإغراء قويا أن تلقي بها في وجهه وتشاهد رد فعله ولكن في الوقت الحالي كان كل منهما يواجه الآخر في غضب شديد مثل كلب في مواجهة قط، وغرابة الموقف لم تفت عليهما.

امسك "بيتر" أخيرا بذراعها، وفهمت "اليشيا" انه من غير المجدي أن تحاول تخليص نفسها. قال بصوت رقيق:

- لست في حالة تسمح لك بالقيادة، وساصحبكما انت و"ديفيد" إلى البيت أيا كان ظنك في هذا الاقتراح.

كانت تتحرق شوقا أن يأتي إلى بيتها وأن يدخل شقتها وان تظل معه ولو لحظات أطول. ليست لديها الشجاعة لترفض. تاوهت داخليا واتهمت نفسها بالحمق. تبعته حتى السيارة التي كان "ديفيد" ينتظر فيها أن يهتما به. سالته:

- وماذا عن سيارتك؟

- سآتي لآخذها فيما بعد. انتظري دقيقة حتى اغلقها بالمفتاح.

رأتها "اليشيا": كانت سيارة من النوع الطويل العريقة الشهرة واللامعة والفاخرة من النوع الذي تعودت أن ترى يخرج منها فتيات طويلات القامة غريبات الزي شديدات الجاذبية.

تساءلت كم من النساء الفاتنات جلسن بجواره في هذه السيارة

الـ"بويك" المعدنية اللون؟

تذكرت أن الدكتور "بندكت" لم يدهش لمساعدة "بيتر" لامرأة مجهولة. لابد أن هذه ليست أول مرة يفاجئه بصحبة امرأة حسناء!

عاد "بيتر" وجلس خلف عجلة القيادة وسأل:

- كيف حال "ديفيد"؟

- إنه شبه نعسان.

- لا شك أن ذلك بسبب الدواء. وماذا عن "آدم"؟

ألقت نظرة على ساعة معصمها واكتشفت في الحال أنها تاخرت كثيرا.

ردت على سؤاله:

- لابد انه عاد إلى الشقة. إن لدي فتاة شابة تعتني به فور عودته.

كان "آدم" قد عاد منذ فترة واهتم في الحال بضمادة شقيقه. وحتى يهدئ "بيتر" من توتر جسده اصطحبه معه إلى الصيدلية لشراء الأدوية التي وصفها الجراح بينما اتصلت "اليشيا" بوالديها لتطلعهما على الحادث.

قالت أمها:

- سنصل حالا.

تمنت "اليشيا" أن يعود "بيتر" من الصيدلية ويرحل قبل وصول والديها إلى الشقة ولكنها كانت مخطئة. لقد استقر "بيتر" دون استئذان -ببساطة- في حجرة الطفلين وأفرغ أمام عيونهما المبهورة كل أنواع الهدايا التي اشتراها في طريق العودة، وهكذا اكتشف الجدان في دهشة رجلا غريبا في حجرة الطفلين جالسا على الأرضية محاطا بخط سكك حديدية لقطارات كهربائية وظهرت من فوق رأسه رأس "آدم" يعطي أوامره

عاد الجدان مبهوتين إلى حجرة المعيشة. كانت "اليشيا" قد اشترت في الطريق وجبة طعام سريعة مكونة من دجاجة وانواع مختلفة من الجبن.

مرت الوجبة دون مشاكل ولكن وجود "بيتر" اثار اسئلة بلا اجوبة.

ومع ذلك وجدت أم "اليشيا" فرصة لتسأل ابنتها خلسة:

- هل تعرفينه من وقت طويل؟

- لا.. ليس من وقت طويل ولكن الطفلين يعشقانه.

- إنه لا يبدو على الإطلاق من النوع الذي يمكن أن تواعديه على الخروج.

- انا لا أخرج معه إذا كنت تفهمين ما اقصده.

هزت الجدة راسها في فهم وعندما رحلت هي وزوجها وأوى "ديفيد" و"آدم" لفراشهما وجدت "اليشيا" نفسها بمفردها مع "بيتر".

كانت اعصابها مشدودة للنهاية. ناولها قدح عصير:

- هذا هو ما وجدته في دولابك.

- انا عادة لا اتناول الكثير من العصير.

- اشربي هذا.

ضحك.. فحذت حذوه وهمس:

- إنه لذيذ.

- حقا؟

- إن الماء في البانيو بدأ يبرد.

- كيف؟ ماذا؟

- اثناء وداعك لوالديك جعلت الماء ينساب في البانيو حتى تاخذي حماما يهدئ من اعصابك.

عندما ذهبت إلى الحمام شمت رائحة الشامبو فصاحت:

- إنه الفردوس!

- خذي راحتك وساوفر لك الأمان من المقاطعة. سارد على التليفون، وإذا اتصل بك احد فساقدم نفسي على انني ابن عمك او شقيقك، او اي شيء يخطر على بالي.

- ليس لي أخ.

- لا يهم... خذي حمامك.

بعد نصف ساعة ظهرت "اليشيا" وقد ارتاحت تماما وقد ارتدت كومونو يابانيا من الحرير الأزرق. سالته:

- الم يستيقظ الطفلان؟

كان "بيتر" ممددا على الأريكة يشاهد برنامجا تليفزيونيا. التفت إليها وابدى إعجابه بها:

- كلا.. إنهما لم يحدثا اي ضجة. إنهما نائمان.

حاولت "اليشيا" أن تسلك مسلكا عاديا، وإن كان كل جسدها ينتفض بالداخل تحت تاثير نظراته العميقة.

تبادلا بضع كلمات حول ترتيب الشقة، ولكن افكارهما كانت في مكان اخر.

سالها:

- وماذا عن عملك؟

- لقد اخبرتهم انني لن احضر إلا في الغد.

- وما هو قرارك الذي اتخذته بشان ترقيتك؟

- لقد قبلتها.

- حسنا! هل انت راضية؟

رفعت شعرها عن وجهها وابتسمت في خيلاء:

- نعم.. وأعتقد ان الأمر سينجح كثيرا.

www.rewity.com/vb

أحست بالعصبية تتملكها من نظراته العميقة، ثم أكملت حديثها

- سأذهب إلى "نيويورك" في الربيع لدراسة خطوط الموضة الجديدة.

- أنا واثق من أنك ستنجحين.

- هل تحب أن تحتسي شرابا؟

قبل أن يجيب سمعا صوت نفير سيارة في الشارع فأخذ "بيتر" نفسا عميقا. وقال:

- إنها سيارة أجرة.. لقد طلبتها أثناء حمامك.. لابد أن أذهب يا "اليشيا".

بدا الاضطراب الشديد على وجه "اليشيا": إنها لن تفهم أبدا مسلك هذا الرجل الذي كان من الواضح أنه يتحرق رغبة في البقاء معها، ومع ذلك يستأذن في الرحيل دون أي تفسير! بذلت جهدا كبيرا لتحافظ على إرادتها وتذكرت اعتزازها بنفسها.

وقالت بصوت بارد:

- بالتأكيد.. وشكرا على كل ما فعلته.

- لا.. لا تتبني هذه النبرة ولا تجعلي الأمور تزداد تعقيدا أكثر مما هي معقدة فعلا.

- لست أفهم ماذا تقصد؟

رن جرس باب المدخل. فتح "بيتر" الباب وقال السائق:

- إنني لا أستطيع أن أنتظر للأبد.

منحه "بيتر" ورقة مالية وأغلق الباب وراءه. قال للشابة المرتجفة:

- لابد أن أرحل. لأنني لو بقيت..

- ماذا؟

- لأنني لو بقيت لما عرفت ماذا يمكن أن يحدث.

سألته بلهجة ساخرة:

- وأنت لا تريد أن تتورط. أليس كذلك؟

- هذا مستحيل.

غامت عيناها وأصبحت الرؤية مشوشة. إنها تصارع وتتخبط في المجهول.. في الظلام. صاحت في غيظ:

- اذهب إلى الجحيم. مادمت لا تريد أن تقدم لي تفسيرا.. ارحل ولا تعد أبدا. لماذا تأتي هنا وتعاملني بطريقة مهينة؟

دون أن تدري وجدت نفسها تنشج بالبكاء، وهو يحاول أن يسري عنها.

قال مزمجرا:

- أنا آتي إلى هنا؛ لأنني متمسك بك للغاية. أنا أعشقك أنت وطفليك وأنا على استعداد لأن أعطي أي شيء مهما كان حتى أصبح والدهما، ولكن لما كنت تمثلين لي سعادة لا حدود لها، وأنا لا أكف عن التفكير فيك وأريد أن أراك باستمرار وأحس بك والمسك..

كانت تعيش في دوامة من السعادة والأحلام؛ لأنها تريد أن تكون معه باستمرار. كان يكرر أنه يريدها ويعشقها.. وأحست بالإعياء الشديد من كثرة الانفعالات، وقبل أن تفيق من دوامتها وجدت نفسها وحيدة فوق الأريكة و"بيتر" يقول لها:

- لابد أن أرحل.

أدار ظهره لها ومرر يده في شعره بحركة هيستيرية ثم فتح الباب واختفى بين الليل.

الفصل السابع

بعد أسبوع وفي نفس اليوم الذي سيفك "ديفيد" فيه غرز الجرح وجدت "اليشيا" نفسها في غرفة المعيشة عندما رن جرس الباب. ارتجفت الشابة. لقد عاشت على اعصابها طوال تلك الأيام وهي تسأل نفسها بلا انقطاع عن "بيتر" وردود افعاله وهروبه. كانت تحس نحوه بكراهية تضارع رغبتها في رؤيته. فسألت وقلبها يدق بشدة إن كان هو قد رجع وقررت أن تفتح.

- هل ابي هنا؟

كانت الطارقة هي "كارول رينولدز" وخداها مندبين بالدموع واقفة على عتبة الباب. كان ثوب بعد الظهر الذي ترتديه مجعدا، وإحدى فردتي جوربها بها شق بطولها.

- "كارول"!

أدخلت "اليشيا" الفتاة. كان الطفلان لايزالان نائمين وليس لديها على

أية حال أي تفسير تقدمه بالنسبة لوضع "كارول" وهيئة ملابسها. وكانت هذه هي الفكرة التي تشغل بال "اليشيا" وهي تدخل الشابة إلى الصالون.

- اليس ابي هنا؟ لقد اتصلت به في منزله ولكن احدا لم يرفع السماعة. نظرت في دليل التليفونات لأعثر على رقمك واكتشفت اننا نسكن قريبين من بعضنا البعض؛ ولذلك قررت أن أقوم بزيارة خاطفة. أين هو والدي؟ أريد ان اقابله؟

- أنا لم أشاهده من اسبوع. لقد وقع لـ"ديفيد" حادث و...

- أوه.. سامحيني يا "اليشيا". لقد حدثني ابي عن ذلك. وكيف حاله الآن؟

طوال ثمانية ايام لم تعثر على اثر يدل على وجود "بيتر" على قيد الحياة سوى البطاقات التي كان يرسلها إلى "ديفيد" يوميا.

ردت:

- إنه بخير وشكرا.. ولكن ماذا حدث لك؟

أخذت الشابة تنشج نشيجا مختلطا بالدموع. ثم بدأت تشرح بعد أن هدأت بعض الشيء:

- هناك حفل مقام في بيتي هذا المساء احتفالا بخطوبتي ولكني تشاجرت مع خطيبي وانقطع كل ما بيننا فجأة عندما ادركت حقيقته. إنني لن استطيع ابدا أن اعيش مع رجل أناني متحذلق ومدع. والذي يخفي عدم كفاءته خلف واجهة فاخرة و رسمة ومزيفة. لقد سألته هل تحبني فعلا؟ نظر إلي كما لو أن بي مسامن الجنون. القيت بخاتم الخطوبة في وجهه واعلنت في الميكروفون أن خطوبتنا فسخت.

تصورت "اليشيا" الذهول الذي سببه خبر فسخ الخطوبة فلم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك.

قالت الشابة الصغيرة:

- لقد اعتقدت أن امي ستصاب بأزمة قلبية.

- لم يكن والدك موجودا؟

- كان قد رحل قبل ذلك. لقد ظننت انه دون شك كان مرهقا ولجا إلى بيتك. لقد كانت امي ثائرة وظلت ترطن بالإنجليزية ولاتزال.

تساءلت "اليشيا": هل لديه موعد مع امراة أخرى؟ إن هذا الاحتمال عذب "اليشيا" وطردت الفكرة من ذهنها. سالت الفتاة:

- وماذا قررت؟

- لست أدري شيئا.

- إنك بالتاكيد لن تقطعي شوارع "لوس انجيلوس" بحثا عن ابيك! اقترح عليك أن تاخذي حماما ساخنا وممتازا وان تقضي الليلة عندي.

لمعت عينا "كارول". كانت مكومة فوق وسائد الأريكة واستعادت رباطة جاشها. إن العرض يعجبها.

- لا أريد أن أسبب لك إزعاجا.

ولكنها بعد دقائق همت بالنزول إلى البانيو ومع ذلك قبل أن تغلق باب الحمام سالت:

- هل يضايقك يا "اليشيا" لو اتصلت بابي؟ لابد انه عاد الآن إلى الشقة.

- ولكني.. ليس عندي رقم تليفونه.

أعطتها "كارول" الرقم وادارته "اليشيا" وقلبها يدق بعنف. لم يرد احد على المكالمة وظل السكون سائدا لمدة ساعة. تناولت "كارول" قدحا من الشاي بعد أن ارتدت قميص نوم من عند "اليشيا". وأخذت الشابتان تثرثران في المطبخ ثم سالتها "كارول" فجاة:

- كيف لا يكون عندك رقم تليفون ابي؟

أجابتها "اليشيا" بين جرعتين من الشاي:

- لم تتح لي اي فرصة لان اطلبه تليفونيا.

- ولكن.. الا يوجد شيء بينكما؟

أجابتها "اليشيا" بحركة نفي من راسها. إن هذا الحديث يهدد أن يكون مليئا بالاخطار والآلام.

قالت "كارول":

- لست أفهم شيئا. إن ابي مجنون بحبك، وانا مدركة لذلك تماما. وكنت أعتقد انك منجذبة إليه كثيرا ولكني اعتقد انني فضولية.

انتظرت شرحا ولكن "اليشيا" رفضت ان تعطيها ذلك الشرح وانما اكتفت بان قالت:

- يوجد مشاكل بيننا.

لم تلح "كارول" اكثر من ذلك وإنما اعلنت انها ستاوي إلى الفراش في سرير "اليشيا" التي وضعته تحت تصرفها.

قالت الشابة:

- هل يضايقك أن تحاولي الاتصال بابي ثانية؟

- اعتمدي علي يا "كارول" ونامي نوما سعيدا.

***

لم يرد "بيتر" علي التليفون إلا في الساعة الواحدة صباحا. كانت "اليشيا" تطلبه كل نصف ساعة. كانت مقتنعة بانها تطلبه بناء على رغبة "كارول"، وكانت تعيد طلب الرقم بدون انقطاع. كانت تعلم انها لن تستطيع ان تنام. لقد كانت قلقة على "بيتر" وفي نفس الوقت تاكلها الغيرة.

- هنا "بيتر رينولدز" من على التليفون؟

- انا "اليشيا".

- "اليشيا"... ماذا هناك؟ هل حدث ضرر؟

- لا.. أنا...

- هل يمكنني أن أطلبك فيما بعد يا "اليشيا"؟

إنني أنتظر مكالمة من "كارول" وأريد أن أحتفظ بالخط غير مشغول.

- إنها عندي وهي بخير ولكنها أيضا مضطربة من مشهد فسخ الخطبة. لقد حاولت الاتصال بك دون توقف منذ وصولها عندي حوالي الساعة العاشرة

استشف السؤال الخفي.. ولكن كيف يخبرها أنه حاول طوال السهرة أن يغرق أحزانه؟ إنه يتحرق شوقا أن يعترف لها ولكنه تراجع سالته:

- "بيتر" أنت لست غاضبا منها. أليس كذلك؟

- لا على الإطلاق. بل بالعكس أوافق على قرارها.

- لقد اطمأن قلبي. إنها في حاجة ماسة لأن تعرف أنك تساندها ومستعد لمساعدتها في تلك الأزمة التي تمر بها.

- هل يمكنني المجيء؟

- إنها نائمة في هذه اللحظة ولكن إن كنت تريد المجيء حوالي الساعة التاسعة مساء فستكون مستيقظة.

- شكرا يا "اليشيا" وساحضر.

وضع السماعة وتذكرت هي في الحال الكراهية التي تحسها نحو هذا الرجل الغامض غير المفهوم، ومع ذلك لا تنتظر إلا عودته.

رن جرس الباب في الساعة الثامنة والنصف ورغم أنه كان حليق الذقن ومشرق الوجه ومرتديا ملابس أنيقة كعادته إلا أن منظره المنهك لم يفت على عين "اليشيا". ودت لو واسته وطمأنته وأن تهمس له بالكلمات المهدئة ومع ذلك اكتفت بأن قالت:

- مرحبا يا "بيتر" وشكرا على البطاقات التي أرسلتها إلى "ديفيد".

- كيف حال عينه؟

- لم يعد هناك أي أثر تقريبا من ذلك الجرح الرهيب.

كانت تتجنب النظر إلى عينيه.

قال برقة:

- أتعرفين.. أعتقد أن القدر يقرب بيننا رغما عنا. أولا حادثة "ديفيد" تلك، والآن ماساة "كارول".

أمسك بيدها التي كانت معلقة بجانبها ثم رفعها إلى شفتيه. وقال:

- شكرا على ما فعلته معها هذه الليلة.

أجابت بسرعة:

- إنها بانتظارك. إنها لازالت في سريري اذهب إذن لمقابلتها وساحضر لك القهوة.

أعدت الصينية بعصبية وكل كيانها متجه نحوه. كان من الأفضل لها أن تحتفظ بشجاعتها وأن تتماسك وأن تتظاهر بعدم الاكتراث ومع ذلك كانت تعرف أنها ضعيفة ومتلهفة عليه.

طرقت الباب فصاحت "كارول":

- ادخل.

كانت مرتدية كامل ملابسها وجالسة على السرير ممسكة بيد أبيها بين يديها والتفاهم يسري بينهما أخيرا. قدمت "اليشيا" لكل منهما قدح القهوة. اقترحت عليها "كارول" وهي ممسكة بيدها:

- لا.. لا تذهبي بل ابقي. أنت تعرفين ما أقصه على أبي. عندما فهمت حماتي المستقبلة أنني قررت فسخ الخطوبة تاوهت وقالت: ولكن متى سيمكنني إذن أن أرتدي الثوب الذي أعددته خصيصا للزواج؟

انفجر الثلاثة في ضحك عفوي.

قال أبوها:

- أنا فخور جدا بالشجاعة التي أظهرتها. لقد كان من الصعب فسخ الخطوبة في تلك الظروف.

وضعت "كارول" رأسها على كتف أبيها.

قاطع الطفلان -هذه اللحظات الانفعالية- بدخولهما المفاجئ إلى الغرفة وقفزا إلى السرير وسط المجموعة. صاح "ديفيد" بأعلى صوته:

- وماذا عن مدينة "ديزني"؟ لقد وعدتنا يا "بيتر" أن تصحبنا إلى هناك الأسبوع القادم.

أثناء الهرج والمرح الذي تلا ذلك وجدت "اليشيا" من الصعب عليها إعداد طعام الإفطار لطفليها وهي تحاول أن تمنعهما من مضايقة ضيفيها. وأخيرا وجدت نفسها هادئة في حجرة المعيشة مع ضيفيها بينما كان الطفلان يرتديان ملابسهما في حجرتهما.

سأل الأب ابنته:

- ماذا تنوين أن تفعلي اليوم؟

- اليوم؟ سأبدأ في البحث لي عن ستوديو.

- أعتقد أن عندك شقة... أليس كذلك؟

- إنني أعتبرها من أملاك أمي. كل شيء بها ملكها من أثاث وجدران.

- ومع ذلك أنا الذي أدفع الفواتير!

- آه.. لست أعرف عن ذلك شيئا ولكن على أية حال أريد أن أعود إلى شقتي وأريد أن أتحمل كل شيء، وكذلك سأحاول كسب عيشي.

وافقها بهزة من رأسه. فكرت "اليشيا": كم هو فخور بابنته!

تدخلت في الحديث:

- لقد واتتني فكرة يا "كارول": ما رأيك في أن تبتكري لي بعض الرسومات عن الموضة فوق جدران حانوتي؟ إنها في حاجة إلى تجديد

وتحديث وستكون فرصة لك أن تنطلقي في تلك المهنة ما رأيك؟

- إنها رائعة! ولكن ماذا لو لم تعجبك رسوماتي؟

- لنحاول على أية حال.

شدت "كارول" بقوة على يد "اليشيا" في انفعال وهي تعطيها موافقتها على عرضها. ثم رحلت بعد ذلك بقليل وهي ترتدي جينزا وبلوزة اقترضتهما من "اليشيا" وهي تعدها أن تبدأ العمل. دخل الطفلان بدورهما مطالبين بالزيارة الموعودة إلى "ديزني لاند" ورغم معارضة أمهما قرر "بيتر" أن يصحبهما إليها قائلا:

- إنها المكافأة لـ"ديفيد" على وعده لي أن يبدو شجاعا أثناء الجراحة التي أجراها الدكتور "بندكت" وأعتقد أنه يستحقها.

- لقد كنت شجاعا جدا جدا.

أيده شقيقه الأصغر:

- نعم لقد كان شجاعا جدا جدا.

- إذن هيا استعدا بسرعة أثناء قيامي بترتيب المطبخ مع أمكما.

اختفيا بفعل السحر. أمسك "بيتر" بيد "اليشيا" وعادا معا إلى المطبخ. قال لها بعد أن تأملها في إعجاب وحب شديد:

- سامحيني على كل العذاب الذي سببته لك. وأقسم أنني لن أفعل ذلك مرة أخرى.. ومن فضلك يا عزيزتي لا تنظري إلي بهذه الطريقة التي تصيبني بالجنون.

صعدت الدموع عينيها، ثم سمعا صوت أقدام تعبر الدهليز: ابتعد عنها قليلا وعيناه تلمعان بشدة. سمعا صوت تصفيق الطفلين وهما يرددان بنغم موسيقي: "أمي و"بيتر" حبيبان!"

أمرتهما أمهما بالصمت:

- اصمتا أنتما الاثنان! من أين أتيتما بهذه الأغنية السخيفة؟ إن هذا

لا يجب قوله.

قال "ديفيد" ببراءة:

- ولكن هذا هو ماتراه يحدث فعلا..

نظرت الأم إلى طفليها في قلق. إنهما أصغر من أن يهتما بمثل هذه العلاقة بين رجل وامرأة بالغين. بذل "بيتر" كل جهده حتى لا ينفجر ضاحكا ثم قرر أن يمسك بزمام الأمور في يده:

- أيها العجوز! أنت على علم بما يجري ولكن يجب مناقشة هذه الأمر بين الرجال وليس مع النساء.

علقت "اليشيا" وهي مذهولة:

- لم أكن أعلم أنهما يلاحظان مثل هذه العلاقات.

- ألم تتناقشي معهما مناقشة الرجل للرجل؟

- لست رجلا.

قال وابتسامة تعلو شفتيه:

- فعلا.. الحق معك.

أخذ الطفلان يتململان ويطالبان بالرحيل الفوري مادام غسيل الصحون لم يتم للآن.

قالت "اليشيا" شارحة:

- لم يتح لنا الوقت لإتمامه؛ لأننا كنا -أنا و"بيتر"- نتناقش في موضوع "ديزني لاند".

قال لها "آدم" بصراحة:

- أنتما لم تكونا تتحدثان..

- حسنا.. حسنا..

- إذن سنرحل؟

استدارت ثلاثة رؤوس نحو الزعيم "بيتر" الذي قرر:

- سنرحل. ارتديا ستراتيكما بينما أنتهي أنا وأمكما من ترتيب المطبخ.

- هل ستراتبان المطبخ حقا؟

- هذا وعد منا يا "آدم".

بعد فترة وجيزة بدأت مجموعة صغيرة مكونة من طفلين وبالغين رحلتهما إلى عالم "والت ديزني" الساحر.

الفصل الثامن

كان أجمل يوم في حياة الطفلين، وكانا ينتقلان من منصة العاب إلى أخرى وكل منهما ممسك بيد أخيه ويطلقان صيحات الفرح أمام شخصيات "والت ديزني" المتحركة والحيوانات شبه مطلقة السراح، والألعاب المبهرة وغير العادية التي لم يسبق لهما أن تخيلاها وحتى "اليشيا" و"بيتر" كانا يشتركان مع مرح الطفلين، كانا يسيران ذراعا في ذراع وأمامهما الطفلان ويمثلان أمام زوار المدينة الأسرة السعيدة التي يجمع بين أفرادها الحب والانسجام.

لقد اختفى خلافهما، ولم تكن "اليشيا" حتى الآن قد كشفت عن سر مسلك "بيتر" ومع ذلك لم يكن هناك ما يمنع من أن تشاطر الجميع سعادتهم ومرحهم بعد أن فقدت الإحساس بالسعادة فترة طويلة، وكان الطفلان يتظاهران بالشجاعة عند الاشتراك في الألعاب المثيرة مثل العجلة الدوارة والأرجوحة الطائرة وبيت الأشباح والنفق السحري.

بدأت الشمس تهبط عند الأفق عندما قرر الزائرون الأربعة -وقد أنهكهم التعب- العودة. همس "بيتر" في أذن "اليشيا" شيئا فهزت رأسها موافقة وقالت له:

- اذهب إذن وقم بمكالمتك وسننتظرك عند الأميرة والأقزام السبعة.

وبعد دقائق انضم إلى المجموعة وقال:

- لقد تم ترتيب كل شيء.

سأل "ديفيد" في فضول:

- ما هو الذي تم ترتيبه؟

- ما رأيك أن تقضي الليلة أنت و"آدم" عند جديك؟

###

نظرت "اليشيا" إلى نفسها في المرآة بعين فاحصة ثم دارت حول نفسها وسألت:

- ما رأيكم في؟

- جميلة جدا يا أمي!

ولكن "ديفيد" لم يرفع رأسه ليتامل أمه. كان يفتش ربطة بجوار "آدم" الذي كان يتلاعب. كتمت "اليشيا" امتعاضها. ما الذي تأمله أكثر من ذلك؟ إنها بالنسبة لهما ليست سوى أم.

كانت تريد حقا أن تسمع آهة إعجاب كبيرة وصادقة منهما. تمنت لو أن "بيتر" وجدها تناسب ذوقه. كان هذا أول لقاء غرامي بينهما يخرجان فيه، وكانت تبدو كأنها فتاة صغيرة في أول حفل راقص لها.

لم تكن قد صدقت أذنها عندما همس لها بهذه الدعوة بعد نهاية زيارتهم لـ"ديزني لاند".

وقال:

- هل تعتقدين أن يقبل والداك أن يأخذا الطفلين عندهما الليلة؟

وهكذا أستطيع أن ادعوك الليلة إلى العشاء ثم نستطيع بعد ذلك أن نرقص ونفعل كل ما نرغب في فعله؟

كان من الواضح أنه يريد أن يقضي معها وقتا سعيدا ولكن التجربة علمتها أنه لا شيء مضمون مع "بيتر"!

قالت لنفسها: ولماذا القلق وما عليها إلا أن تتمتع بسعادة هذه اللحظات وليحدث بعد ذلك ما يحدث حتى ولو عانت أسابيع وأسابيع.

سألها "ديفيد" فجأة:

- لماذا ترتدين يا أمي أجمل أثوابك؟

- لأنني أريد أن يفخر بي "بيتر" هذا المساء. إنه سيصحبني إلى المطعم.

- ولماذا لا يصحبنا معك؟

- لأنه مطعم خاص بالأشخاص الكبار.

رن جرس الباب واندفع الطفلان إليه.

انتهزت "اليشيا" الفرصة لتفحص نفسها مرة أخرى أمام المرآة. تساءلت: هل هي فاتنة بالدرجة التي تسمح لها بأن تصحب رجلا جذابا مثل "بيتر" إلى مكان راق؟ كانت يداها ترتجفان من الخوف وهي ترش بعض العطر خلف أذنيها.

تساءلت: ما الذي تبقى عندها من الصفات الشابة التي كانت من اثني عشر عاما والتي كانت تتعرض للغزل من أجمل الشباب. والواثقة تماما من مستقبلها؟ لقد تزوجت من الرجل الذي أحبته وأنجبت منه طفلين ثم توفي ولم تعد تعرف معنى كلمة حب.

ومع ذلك عندما نظرت إلى صورتها في المرآة عرفت أن حياتها كامرأة بدأت الآن: كانت أنيقة في ثوب من الحرير الأسود أظهر جمال جسدها، كل ما فيها يتنفس الجمال ويدعو إلى الإعجاب بها وإلى الوقوع في

حبها. كانت بحق امرأة جذابة من الخارج ولكن بالداخل كانت تحس بالخوف وكأنها شابة مبتدئة.

ألقت نظرة أخيرة على صورتها في المرآة وأخذت حقيبة يدها ذات السلسلة الذهبية وأطفأت النور وخرجت من حجرتها. كان "بيتر" جالسا على الأريكة في حجرة المعيشة وتحت كل ذراع طفل كان ينظر إلى التليفزيون الذي يذيع رسوما متحركة لـ"والت ديزني" وعندما رفع عينيه نحوها ظل لحظة مبهورا. أحس الطفلان فجأة بالتوتر الذي اجتاحه فأخذا يتأملانه دون كلام وهو أمر غير متوقع منهما. ثم نهض "بيتر" وكأنه منوم مغناطيسيا واتجه نحو "اليشيا".

قال بصوت مخنوق:

- رائعة! خرافية!

أمسك بيد "اليشيا" وقبلها في رقة قالت:

- شكرا!

- هل نرحل؟

وافقت بهزة من رأسها واختلست النظر إلى الطفلين اللذين كانا مستعدين ومعهما الأدوات اللازمة لقضاء الليلة عند جديهما وقد رصت في حقيبة. كان خروجهم يثيرهم جميعا. أما الطفلان فلم يكفا وهما في السيارة عن الحركة؛ وأحست "اليشيا" بالارتياح عندما ظهرت عمارة والديها. استقبل الجدان الحفيدين وأخيرا وجدت "اليشيا" نفسها بمفردها في السيارة و"بيتر" بجوارها. انطلق وهو يسألها باهمال:

- ماذا قلت لأمك؟

لفت سلسلة حقيبة يدها حول أصبعها وقالت:

- اتقصد حتى يتقبلا الطفلين هذه الليلة؟ لقد قلت ببساطة: إنه أسهل لهما ولي أن آتي لآخذهما في منتصف الليل لأعيدهما للبيت. لقد قلت

لها إن الأمسية ستطول.

- آه.. وهل ترغبين أن تطول؟

ظل يقود دون أن يلتفت إليها وقد حمدت له هذا المسلك حتى لا يرى اللون الأحمر الذي كسا وجهها. هل فهمت خطأ دعوته؟ هل كان تصرفها تصرف ارملة مسكينة تبحث في يأس عن الزواج ثانية؟

- لا تكوني عصبية يا "اليشيا".

قالت بصوت واهن وابتسامة ضعيفة:

- أعلم أن الأمر مثير للسخرية ولكن ما باليد حيلة.. أخشى أن تعتبرني امرأة مسكينة وقلقة تحاول أن تضع يدها على زوج. هذه هي الحقيقة يا "بيتر".

دخلت السيارة في ممر حديقة المطعم.

قال:

- لا تخافي من شيء يا "اليشيا". إنني لن أحكم عليك بما ليس فيك. أنت أكثر النساء فتنة عرفتها في حياتي ومرغوبة.. وفي كل المجالات العاطفية والعملية أجدك ساحرة. أنا في حاجة إليك بكل خلية في جسمي إلى ابتسامتك وطريقة تصرفك.

صف السيارة في المكان المناسب وابطل المحرك. وضع كفا عريضة وقوية على كتف "اليشيا" ثم امسك بخصلة شاردة من شعرها ووضعها خلف أذنها. إن "بيتر" ايقظ عندها عالما من الانفعالات والعواطف ظنت انه مات من زمن بعيد.

وقال:

- أيا كانت الظروف يجب أن تعلمي انني أحبك يا "اليشيا".

أخذ ينظر في أعماق عينيها ليعرف تأثير كلماته ثم واصل حديثه:

- لابد أن أخبرك بشيء يا "اليشيا" ويجب عليك أن تتذكريه. أنا أحبك

وأعشق طفليك من كل قلبي، وافهمي انه لا شيء يمكن أن يجعلك تنسين ذلك.. أبدا.

لقد أصبحت في عقلها خاضعة له وكل جسدها وروحها وعقلها وقلبها يود أن يصبح جزءا منه.

انفتح باب السيارة وظهر رأس نادل:

- أوه.. أرجو المعذرة يا سيد "رينولدز".

أجابه "بيتر" دون أن يرفع رأسه:

- لا بأس.. سنحضر للعشاء حالا.. نحن مستعدان.

لم تكن "اليشيا" واثقة من أنها مستعدة كما قال "بيتر" للنادل: لقد اجتاحتها موجة عارمة من العواطف اغرقتها ولا تستطيع أن تنهض ولا أن تهبط من السيارة ولا أن تسير في ممر الحديقة. إن ردود أفعال جسدها لا تستجيب لأوامر عقلها. كانت تود لو أن "بيتر" حملها ووجهها وأمرها. أخيرا وبمجهود شاق استطاعت أن تسترد أنفاسها وتسيطر على أعصابها وخرجت من السيارة. لم يكن المطعم من النوع الأرستقراطي الذي يتردد عليه علية القوم والمشاهير ولكنه كان مكانا مميزا ومختارا بعناية وشديد الأناقة والرقة. وكان الديكور الخفي ينسجم مع فخامة الموائد التي يتلوى وسطها جيش من الخدم والسقاة في منتهى الكفاءة والصمت.

أعلن كبير الخدم:

- هذه مائدتك يا سيد "رينولدز".

أشار إلى الطريق وهما يتبعانه. كانت "اليشيا" تحس بالرؤوس وهي تستدير أثناء مرورهما.. لقد كانا ثنائيا رائعا ورائقا للغاية.

كان رفيقها يرتدي بذلة كاملة سوداء رائعة التفصيل تظهر مدى رشاقة حركاته وجمال جسده الرياضي، ويزيد من هيئته وجماله تلك

الشعيرات الفضية التي ظهرت على فوديه، وتقاطيع وجهه الرجولية الجميلة. كان يجتذب كل نظرات النساء الموجودات واللاتي استقرت عليه دون أن يرفعنها.

عندما جلسا سالته "اليشيا" وهو يفحص القائمة:

- هل تحضر كثيرا إلى هنا؟ يبدو أن كل الناس تعرفك.

تجهم خفيفا وهو مسرور من سؤالها الذي أحس به مشوبا بالغيرة. وقال:

- إنني أقيم هنا حفلات العمل. عادة بعد وجبة عشاء ممتازة أحصل على العقد.

لم يشر إلى وجود النساء في تلك الحفلات، أو بشأن مصاحبته لهن إلى هذا المطعم. لم تجد مفرا من أن تؤجل تحرياتها عن كل هذا الموضوع.

- ماذا تختارين من قائمة الطعام؟ وأي عصير تفضلينه؟ الليمون أم التفاح؟

فيما بعد لم تتذكر "اليشيا" ما أكلته أو شربته ولكن ما تذكره هو أن كل شيء قدم لها كان لذيذا.

كانت عيناها تلمعان من السعادة وجرت الوجبة في جو الأحلام.

قال لها مقترحا:

- ما رأيك في حلوى التوت الرومانوف؟ إنني أوصيك أن تتذوقيه.

- آسفة ولكني لا أستطيع أن أبتلع بعد ذلك أي شيء.

ومع ذلك كانت مخطئة، لأنها تلذذت بالتوت الذي أوصى به والذي كان فعلا لذيذا.

قالت:

- "بيتر"؟

- نعم؟

- أود أن أطرح عليك سؤالا فضوليا. لماذا لم تحدثني أبدا عن نجاحاتك في الأعمال المهنية؟ إن الرجال دائما يتيهون عجبا بذلك.

- أنا لا أولي النجاح المهني أي اهتمام. لقد أدركت مؤخرا أنني يمكن أن أضع برنامجا منظما لحياتي خاصا بنجاحي المالي، ولكن هل هذا هو النجاح حقا؟ لقد كنت أظن ذلك فيما مضى، ولكن لم يعد الأمر كذلك الآن.

- ولكن ليس هناك ما يدعو لأن تشعر بالخجل منه.

- تلك الأمور يجب أن يكون لها الأولوية والسيطرة على الحياة. يجب أن يدع المرء نفسه صريع النجاح.

- لست أفهمك. لماذا هذا النقد الذاتي اللاذع؟

- لأنه من الناحية الفعلية فإن حياتي فشل. أين هي الزوجة والأطفال الذي يجب أن يكون رجل في مثل سني مسؤولا عنهم؟ أين هي داري؟ بعد فشل زواجي لم يكن لدي أي رغبة في الارتباط من جديد ولا أن يكون لدي أطفال بعد "كارول"، وأنا لم أصبح أبا لـ"كارول" إلا مؤخرا؛ ولهذا لا يوجد أي سبب يجعلني أفخر باي نجاح. أنا أعرف جيدا أنني أفسدت حياتي ولهذا أرغب...

- ماذا؟ ما الذي ترغبه؟

كان حتى هذه اللحظة يتحدث ونظراته شاردة في الضباب. أعاده سؤال "اليشيا" إلى الأرض، زال عنه مظهره الساهم وتردد لحظات ثم فهمت أنه سيصفق الباب في وجهها.

قال بصوت متغير تماما:

- إن ما أرغبه هو أن أرقص معك هذا المساء. هل تحبين الرقص؟

بعد نصف ساعة كانا يتلويان على أنغام مجنونة في ملهى ليلي

مخصوص. كان الزبائن من النوع الذي لا يكف عن الشجار ومن جميع الأصناف من "هيبيز" و"بانكس" وبجوارهم فتيات يرتدين مجوهرات غالية الثمن، وكانت أضواء الليزر الملونة تضيء الراقصين ثم يسود الظلام فترة أخرى، وأخذ "بيتر" يراقصها وكانت الموسيقى الصاخبة تضطرهما للابتعاد عن بعضهما البعض دون انقطاع ثم يقتربان ثانية.

قال لها:

- من المستحيل أن نرقص مع هذا اللحن. أعرف مكانا يعزفون فيه رقصات الـ"سلو" الهادئة.

لم تعترض "اليشيا" عندما سحبها من بين جمهور الراقصين. كان المكان الهادئ الذي يقصده هو منزله وكان المنزل مقاما فوق أحد التلال التي تطل على المدينة، وكانت "اليشيا" -التي تنتمي إلى إحدى العائلات القديمة في البلاد- قد تأثرت عندما عبرت السيارة البوابة الحديدية الرئيسية التي انفتحت آليا عند اقترابهما منها، وكانت الحديقة معتنى بها تماما. وقف "بيتر" أمام الشرفة الرئيسية لمنزل فاخر وضخم.

قال:

- إنها ليست سوى دار فسيحة وخالية.

- إنها شديدة الجمال.

- ومع ذلك -للأسف- لا يوجد سواي ليتمتع به.

كان الديكور الداخلي يتفق مع الفكرة التي يأخذها المرء من مظهر الدار الخارجي: كانت الحجرات فسيحة المساحة والأثاث من الطراز الكاليفورني يشع راحة ورفاهية وذوقا رفيعا، وكان السجاد السميك يكتم أصوات الأقدام وهما يقطعان الدور الأول، وشاهدا من خلال أبواب الشرفات الزجاجية آلاف الأضواء التي تلمع في المدينة.

قالت "اليشيا":

- كم هو رائع وجميل!

- نعم.. والآن مادمت قريبة مني فهو جميل، والحقيقة أنك تنسجمين مع هذا البيت وتزينينه. هل تحبين أن تشربي شيئا؟

- لا.. لا أحب أن أشرب شيئا.

همس في أذنها في مكر:

- أعتقد أننا حضرنا هنا من أجل أن نرقص فحسب.

ردت عليه بنفس النبرة:

- بالضبط وإنني أتساءل أين هي موسيقاك؟

وضع ذراعه حول وسطها وصحبها إلى حجرة المكتبة الفسيحة، وكانت مجموعة من الأجهزة الصوتية مركبة وسط رفوف المكتبة بطريقة خفية. بدأت موسيقى رقيقة تنساب من السماعات الستريو المركبة في أركان الحجرة الأربعة بدأ يرقصان معا في هدوء على الألحان الحلوة.

- هل تعرفين ماذا ظننت عنك في أول مرة تقابلنا فيها؟

- نعم أعرف. لقد اعتبرتني غبية ولم أفكر في إحضار المصباح الكهربي الخاص بالمعسكرات والطوارئ عندما حضرت لقضاء الإجازة في الغابة.

- صحيح أنني وجدتك شاذة التصرفات بعض الشيء وطائشة، ولكن قبل أن أحكم عليك هذا الحكم ماذا ظننت عنك؟

- حسنا.. إنك لم تفتتن بجمالي لأن شعري كان ملتصقا بجبيني وجمجمتي مثل الغريق، أعرف أنك انبهرت من كلامي الفصيح.

- أنت لم تقولي سوى كلام فارغ.

- شكرا على حسن ظنك.

قال في رقة:

- إذن ماذا حدث؟ هل أكلت القطة لسانك؟ لقد كان هذا هو أول شيء

لاحظته عليك.

ردت عليه بلهجة غضب مصطنع:

- الا تشعر بالعار مما تقوله؟

انتقلا وهما يرقصان إلى قاعة وجدت بها مائدة بلياردو تحتل جزءا كبيرا من القاعة. ابدت إعجابها الشديد بديكورات الحجرات الفسيحة، وايدته في مدى شعوره بالوحدة في تلك الدار الفسيحة التي تسع سكان شارع باكمله.

اجتاحتهما العاطفة الجامحة بعد طول انتظار، وأخذ يدللها ويصفها بانها أجمل امراة في العالم، وانها لازالت تتمتع بالشباب والحيوية رغم انها ام لطفلين.

سالته عندما رات بعض الملابس النسائية الشفافة معلقة في الحمام:

- كيف حدث أن جاءت تلك الملابس إلى حمامك؟

- لقد سرقتها من أجلك.. وإن لم يكن لدي اي أمل أن ترتديها لي في يوم من الأيام.

احمر وجهها بشدة من كلامه الصريح ولكنه واصل:

- لقد حلمت الاف المرات وانا اراك ترتدينها ولكني لم اكن اظن ابدا انك بهذا الجمال يا "اليشيا".

كان صوته متهدجا من عاطفته وانفعاله اللذين كانا حقيقيين وغير مصطنعين؛ احست بغصة في حلقها وارادت أن تتكلم ولكن الكلمات وقفت بداخلها. بدا يتوسل إليها:

- أرجوك.. لا تبكي! إنني لن أفعل ابدا اي شيء يمكن أن يغضبك أو يضايقك. انا احبك يا "اليشيا"، واردت ان اريك إلى اي مدى أحبك.

بدات الدموع تنساب من عينيها على خديها:

- انا لا ابكي يا "بيتر" يا حبيبي لانك ضايقتني؛ إنني أبكي لانني لم

أكن أصدق أن أحدا يمكن أن يحبني كل هذا الحب الذي تحبه لي.

- لا تنسي هذا ابدا يا حبي.. لا تنسيه ابدا.

- أحبك!

###

واصل "ديفيد" ثرثرته:

- ولذلك صنعت جدتي تورتة من أجل العشاء ولكن ليست ممتازة كما تصنعينها ومع ذلك لا باس بتورتتها.

قالت له "اليشيا" بجفاء:

- شكرا جزيلا.

ابتسم "بيتر" كان يقود سيارته. منذ أن اندس الطفلان داخلها من دقائق، لم يكفا عن الثرثرة وهما يقصان سهرتهما عند جديهما.

- لقد لعب جدنا الورق معنا ولكني أعتقد انه تعمد أن يجعلنا نكسب.

قال "ديفيد" بصوت كالنفير:

- لقد استمتعنا كثيرا.. وانتما؟

اختلس "بيتر" نظرة إلى "اليشيا". احمر وجهها ولكن بعد قليل ردت:

- نعم.. لقد كانت رائعة.

- وماذا فعلتما؟

- اشياء لاحصر لها.

تحول الأحمر على خديها إلى لون أرجواني بينما ضحك "بيتر" من كل قلبه. وصلوا إلى باب شقتها وقبل الدخول مباشرة قال "ديفيد" لـ"بيتر":

- لقد اردت أن اسالكما عن شيء ولكن يبدو انني نسيت.

سأله "بيتر":

- ماذا كنت تريد؟

- إن نادي الكشافة الخاص بي ينظم أمسية، ولما كان لا يوجد لي أب فإن الرئيس قال لي أن أدعو شخصا يحل محله، ولقد اردت أن أطلب ذلك من "جوليان" ولكني افضل أن يكون انت الذي يحضر معي

- انا أشعر بالفخر لانك فكرت في

ابتسم "بيتر" ولكن سرعان ما اختفت ابتسامته:

- متى ستكون الأمسية؟

- في الشهر القادم.

احست "اليشيا" في الحال بحركة تراجع عند "بيتر"، لقد اقيم جدار غير مرئي وإنما محسوس بينهما. تصلب كل جسدها. ادارت رأسها نحوه واخذت تتامله: كان وجهه قاسيا وبدا وكان الدماء انسحبت من عروقه، كانت عيناه ثابتتين، ومرة اخرى احست انه سينسحب ويلجا إلى مملكة ممنوعة اشعرتها بالخوف الشديد. ولكن في هذه المرة كان الغضب الجامح هو الذي تملكها.. كيف يفعل هذا بعد إعلانات الحب والهيام التي اعلنها في الليلة الماضية.

سأله "ديفيد":

- هل ستحضر يا "بيتر"؟

اجابه بصورة مبهمة:

- سنرى ذلك وقتها.

قالت "اليشيا" متدخلة في الحديث متصنعة المرح:

- سنتحدث في ذلك مرة أخرى.. هيا انهب مع "ادم" لترتبا حوائجكما في الحجرة. ثم يمكنكما مشاهدة التليفزيون فترة، وأمامي حديث مهم مع "بيتر".

كان "بيتر" منكسا عينيه نحو الأرضية وعندما اختفى "ديفيد" رفع راسه. كانت عيناه باردتين وصوته بلا أي نبرة مميزة:

- أنا لا أستطيع أن أصحب "ديفيد".. من فضلك قدمي له اعتذاراتي.

- لا.. لست مضطرة لأن اقدم له اعتذارا! وأنا.. الا تعتقد انني استحق اعتذارا ايضا؟ أرى انك تستعد للاختفاء مرة ثانية. هل انا مخطئة؟

امسكته من كتفه وحاولت أن تهزه وتجبره على الرد ولكنها لم تعد تمتلك اي قوة جسدية وإنما الياس هو الذي منحها بعض القوة لتكملة حركتها. كان الغضب يجعلها ترتجف.. ارادت ان تقتله لانه يعذبها.

- أريد أن أعرف يا "بيتر".. اعرف سرك. كيف يمكنك أن تنسى الليلة التي قضيناها معا؟

- لقد كانت اروع ليلة في حياتي وانا لم اكذب عليك عندما قلت لك: إنني احبك.

صاحت

- إذن ماذا؟ لماذا تريد ان ترحل مرة ثانية؟ لانك تريد ان ترحل.. أليس كذلك؟

قال في حزن:

- نعم.

- وانت لن تعود! لن تعود ابدا!

ظهر ياس مرير في عينيه الخضراوين وتوترت عضلات فكه وزم شفتيه بقوة وقال:

- لا.. لن أعود.

تراجعت "اليشيا" خطوة للخلف. لم تتصور انه يمكن أن يرد عليها بهذا التصميم. كيف يمكنه أن يقرر بهذا البرود ألا يراها أبدا؟ لاهي ولا الطفلين. وأن يشطب على حبه. لماذا صحبها إلى منزله واحبها بعنف ثم ياتي بعد ذلك ويتخلى عنها؟ أن يرحل دون نظرة وداع بعد كل ما

حدث.. هل هذا ممكن؟

- لابد من أن أرحل في الحال يا "اليشيا" فكلما انتظرت الفراق أكثر فإنه يصبح لا يطاق. صدقيني عندما أقول لك إنه يجب علينا أن نفترق في الحال. لقد كانت ليلة أمس بالنسبة لي حلما مجنونا. حلما أردت تحقيقه، لقد استطعت أن أعتقد أننا متزوجان، وأن كلا منا ينتمي للآخر وأن المستقبل مفتوح أمامنا.

تاوهت:

- أوه يا "بيتر" كيف يمكنك أن تتحدث هكذا بينما لا تفكر إلا في هجري؟ أنا لم أعد أفهم.

- هل تظنين انه يسعدني أن ابتعد؟ منذ أن عرفتك يا "اليشيا" أصبحت جزءا مني، ولكن لابد من أن نفترق.

أخذت تبكي على كتفه. ودت لو استردت رباطة جاشها وأن تظهر إرادة قوية مثل إرادته ولكن لم تكن لديها الشجاعة.

- لماذا يا "بيتر"؟ لماذا؟ لا تتركني أتوسل إليك.

- لابد من ذلك يا عزيزتي فلا تصعبي علي الأمور أكثر مما هي معقدة بالفعل.

- ليس هناك ما هو أسوأ من عدم العلم. خبرني يا "بيتر" ما هو سرك؟ أريد أن أعرف. يجب...

ساد صمت لايطاق لحظات: أحست "اليشيا" بقلبها يدق بعنف. شعرت بان التردد يجعله متوترا. انتظرت التفسير وكأنها تعتبره آخر فرصة لسعادتها.

أخيرا اتخذ قراره. وبصوت حازم قال هذه الكلمات:

- إنني سأموت!

الفصل التاسع

لا! إنه ليس هو الذي سيموت وإنما هي! انسحبت الحياة من جسدها، وكفت الدموع عن أن تسيل على خديها فقد جفت. وقفت "اليشيا" بلا حركة مذهولة تشبه تمثالا من الرخام.

كان "بيتر" أول من تصرف. انزل كفي "اليشيا" اللتين تركتهما على صدره وابتعد: أحس بالم صديقته وكأنه سكين انغرس في قلبه. إن المشهد لا يحتمل ولا يستطيع أن يواجهه.

أدار ظهره لـ"اليشيا" واقترب من النافذة. كان الجو صحوا والسماء صافية. إنه نهار خاص بالناس السعداء وليس لمواجهة الموت.

جلست "اليشيا" على الأريكة ألقت نفسها عليها مثل العروسة القماش وقد تراخت ساقاها. أخيرا أخذت نفسا عميقا مزق رئتيها.

ثم بدأت الدماء تسري في عروقها. أسندت خديها بظهري كفيها ولكنها عندما نظرت إلى "بيتر" وكان موليها ظهره وينظر عبر النافذة

بدات الدموع تسيل من جديد. حاولت أن تمنعها.. يجب ألا تستسلم ظل "بيتر" سيد نفسه ولا يوجد في مسلكه أي نقطة ضعف.

اعلنت في ضعف:

- لا.. هذا مستحيل!

نظر إليها من فوق كتفه وقال:

- هذا ما قلته لهم، ولسوء الحظ كنت مخطئا، في الحقيقة ليس الأمر مؤكدا ولكنه ممكن جدا.

- لست أفهم. أخبرني بكل شيء يا "بيتر". إنني لا أستطيع أن أصدق انك مصاب بأي مرض كان.. لا.. لا.. أصدق!

- لقد ذهبت ككل سنة لإجراء كشف عام على صحتي، وكنت في صحة ممتازة ولا أعول هما بالنسبة لحالتي الصحية ولكن فحص الدم أخطر بنتائج مقلقة، واجريت تحاليل جديدة اظهرت انني أحمل بداخلي فيروسا نادرا وقاتلا. او ببساطة الأمر يتعلق بمرض شبه مجهول قد يمكن معالجته ولكن.. ولكن حتى الآن الأطباء قاطعون في رايهم بان الفيروس يقوم بتخلل الجسد ثم الموت.

غطت "اليشيا" فمها بيدها حتى تمنع نفسها من الرجفة. ودت أن تصرخ وان تصيح باعلى صوتها وان تنشج بالبكاء وان تضرب نفسها في الجدران.

وبمجهود فوق طاقة البشر تحدثت بهدوء:

- هل قلت إنه ممكن أن يكون مرضا يمكن علاجه؟

- إن الأطباء لم يتركوا لي أملا. لقد قاموا بمحاولات ابدوا فيها رغبتهم في تحليلات جديدة ولكني لا أريد الحديث في ذلك. لقد علمت انني أصبت بالمرض قبل يومين من لقائنا. لقد تركت أعمالي ورحلت إلى الغابة حتى ارتب أموري بحيث اترك الأمور منظمة بعد رحيلي.

عضت "اليشيا" شفتها وسالت دمعة لم تستطع أن تمنعها من السقوط على خدها.

سقط "بيتر" على ركبتيه وأخذ يتضرع إليها:

- من فضلك لا تبكي يا حبيبتي! لم أكن أرغب في الاعتراف لك بسري، وكنت افضل أن تظلي انني مخلوق قذر ونذل ينال ما يريده دون أي وازع من ضمير.

مررت يدها على شعر "بيتر":

- أنا واثقة من انك لست مريضا.

نهض وأخذ يذرع الحجرة ذهابا وإيابا:

- لقد حاولت أن اقنع نفسي ولكني سرعان ما تخليت عن ذلك. لقد كان من السهل علي أن اثق في صحتي الظاهرة. إنني لم يزدد وزني أو ينقص، واقوم بالرياضة كأي شاب ولم أعد ادخن السجائر منذ سنوات طويلة وشهيتي ممتازة وأمارس حياتي بطريقة طبيعية.

- متى ستحصل على النتائج النهائية؟

- خلال أيام على ما أظن.. ولكن يجب التخلي عن أي أمل. لقد اعددت نفسي لمواجهة موت قاتل، ولا أستطيع أن افكر في أي احتمال للشفاء. إن الإحباط واليأس فظيعان.

جلس بجوارها.. كان كل حركاته وكلامه طبيعيا للغاية. فكرت أن اعصابه من فولاذ. إنها تحس باليأس اكثر منه.

قال بصوت مرتعش:

- أنت تفهمين الآن لماذا حذرتك من البداية. إنني اتجنب بأي ثمن الارتباط بأي علاقة عاطفية. لم أرغب في جرحك.

عاد إلى النافذة وهو متعقل أكثر من المتوقع

- ولكنك يا "اليشيا" كنت امراة غير النساء، وكنت أعلم انني لو

استسلمت لحبي لك فإنني لن أتركك أبدا ترحلين، ولكنني كنت أعرف أنني لست الرجل الصالح لك. أنت شابة وصغيرة في السن وفقدت زوجك، ولك طفلان يحتاجان إلى أب وأنت تستحقين زوجا يستطيع أن يقدم لك دارا وأن يحبك لسنوات طويلة من السعادة.

جلس أمامها مرة ثانية وأخذ يتوسل إليها:

- أعرف أنني أخطأت حين صارحتك بحبي ورغبتي في إقامة علاقة عابرة معك، ولكني لم أستطع أن أمنع نفسي من أن أطير إليك في كل مرة تجتاحني فيها رغبة شديدة في لقائك مع أنني كنت أعلم أنه لا يجب علي أن أعود لك أبدا.

وبعد حادثة "ديفيد" فهمت أنك تفضلين لو مكثت بجوارك وأنك في حاجة إلى تفاهم وحب، وأن تعلمي أنك لست بمفردك في الحياة مع مسؤوليات تربية ورعاية طفلين، ولكني لم أكن أستطيع أن أقدم لك الأمان المطلوب، وعندما أحسست أن معاملتي لك أصبحت مهينة كان علي أن أرحل.

سكت بعض الوقت ليستعيد أنفاسه ثم أكمل:

- لقد كنت أنت و"ديفيد" و"آدم" نسمة هواء منعش لي، وكنت أمل وأنا أعرف أن أيامي معدودة أن أعطي حياتي معنى لو تحملت مسؤوليتكم جميعا.. أن أصبح زوجك وأبا لابنيك! يا له من حلم رائع! وكان بإمكاننا إنجاب أطفال آخرين أنا وأنت.. ولكن الأوان فات.

ظل كل منهما يتطلع للآخر وقتا طويلا في صمت ثقيل. تمنت "اليشيا" أن تخفف من آلام "بيتر" ولكنها كانت تعلم أنه لن يتحمل شفقتها. ثم ماذا عنها هي؟ من سيستطيع أن يشفي جرحها الغائر الذي سببه لها علمها بهذا الخبر المشؤوم؟ إنها لن تشفى منه أبدا.

سألته:

- ماذا ستفعل لو أكد لك الأطباء وجود هذا الفيروس اللعين؟

- لقد فكرت في ذلك. سابيع حصتي في الشركة إلى بقية المساهمين، وأسوي كل أعمالي الشخصية التي لاتزال قائمة وأذهب لمقابلة أمي و.. و.. أختفي. أعتقد أنني لن أعيش أطول من ذلك.

فكرت في هذا الاحتمال فارتجفت. سألته:

- هل أطلعت "كارول" على الخبر؟

- لا.. لا أحد يعرف أنني مريض.

- هذه قسوة يا "بيتر"... لابد أن تعرف أمك وابنتك. الآن وقد عادت علاقتك بابنتك فلا يجب أن تجعلها بمعزل عن حياتك.

- هل كنت تفضلين يا "اليشيا" أن تعرفي موعد وفاة زوجك؟ اعذريني يا عزيزتي إن كنت أبدو قاسيا ومتوحشا، ولكني أريد أن تفهمي.. لقد كنت أفضل أن أتركك غاضبة مني وحانقة علي ولا أسبب لك أي ألم.

أخذ نفسا عميقا ثم قال بصوت مقتضب وجاف:

- سأذهب الآن يا "اليشيا".

سرعان ما وصل إلى الباب. اندفعت "اليشيا" من فوق الأريكة وقد أصابتها الهيستريا من فكرة اختفائه للأبد.

سألته:

- هل.... هل ستعود؟

أغمض عينيه وهز رأسه نفيا واستعد لفتح الباب.

قالت متلعثمة:

- ولكن... ولكني...

انطفأت الكلمات على شفتيها. أرادت أن تسأله.. إنها تريد أن تعرف النتيجة فور حصوله عليها أيا كانت ومع ذلك لم تجرؤ أن تختم عبارتها. فهم "بيتر" كل شيء: عاد نحوها ومرر أصبعه على خدها المبلل

بالدموع وتلاعبت ابتسامة على شفتيه:

- لقد قلنا كل ما يجب أن يقال يا "اليشيا".

لقد عرفت من أول لحظة رايتك فيها أننا لا نستطيع بناء شيء معا. إنني لا استطيع أن أجرك معي فسامحيني يا عزيزتي! لأنني أحبك بشدة.

انغلق الباب خلفه ولم تتحرك "اليشيا".

###

كان اليومان التاليان كابوسا. تصرفت الشابة وكأنها منومة مغناطيسيا، تقوم بعملها دون وعي وظلت تعتني بابنيها كالعادة ومع ذلك كانت لياليها تمر في طوفان من الدموع والمشاهد الشنيعة. لم تستطع أن تتحدث بطريقة طبيعية مع كل من حولها، وكان الجميع يدهشون من شحوب وجهها وعصبيتها، وتحمل الطفلان مسلكها دون أن يفهما السبب ولكنهما دون قصد منهما كانا يعذبانها بذكر اسم "بيتر" في أحاديثهما.

- هل سيحضر "بيتر" امسيتي يا أمي؟

- لا.. لسوء الحظ لن يستطيع وليس أمامك سوى أن تطلب ذلك من "جوليان".

- ولكني أفضل أن يكون "بيتر".

- هذا مستحيل.

- لماذا؟

- انته مما هو في طبقك.

- لماذا لن يحضر "بيتر" يا أمي؟ ثم لماذا لم نعد نراه؟ هل تشاجرت معه؟

- انته من عشائك!

القت بقوطتها على المائدة وخرجت من الطرقة وهي توشك على الانفجار. القت بنفسها على السرير وأخذت تهتز من البكاء والنحيب ثم تمالكت نفسها واستانفت مسؤولياتها. نجحت في وضع الطفلين في الفراش وأن تقرا لهما حتى نعسا. لم ينطقا ولو مرة واحدة اسم "بيتر" ولكنها استشفت استجوابا في نظراتهما لها.

نهضت صباح اليوم التالي وهي تحس بنفس الإرهاق الذي احسته في اليومين الماضيين. كانت كل افعالها حتى التافهة منها تتطلب منها جهدا خارقا. كان الطفلان قد غادرا البيت لحضانتهما وانتهت من ارتداء ملابسها عندما رن جرس التليفون.

صاح صوت مرح على طرف الخط الآخر:

- هالو! هل هذه انت يا صغيرتي "اليشيا"؟ هل لازلت جميلة وفاتنة.. انا أعشقك!

تبع ذلك سيل من القبلات عبر التليفون من المتحدثة ثم امسك "جوليان" بالسماعة من زوجته كانا يتصلان من "سان فرانسسكو"، ورغم المأساة التي تعيشها إلا أنها ابتسمت وهي تصيح:

- أوه.. "سوزي"! "جوليان"!

- هل تتذكرينا؟ لقد كنا نتساءل عن ذلك. لم يصلنا اي خبر عنك.

- انا اسفة. لقد كنت مشغولة جدا بالعمل. لقد قبلت الوظيفة التي عرضوها علي وهي تاخذ كل وقتي.

تسلل شعاع من الأمل إلي قلبها وهي تسمع صيحات صديقيها السعيدة. كم كان رائعا أن تسمع صوتهما عبر التليفون!

سالت صديقتها:

- هل انت بخير يا "سوزي"؟ وماذا عن الطفل؟

- إنه يركلني ليلا ونهارا ولكن هذا يجعل "جوليان" يضحك. إن موعد

الولادة أوشك.

ابتسمت "اليشيا" عندما علمت بسعادة صديقيها. انطلقت زفرة هيستيرية من صدرها. إنها تحسدهما.

قال "جوليان" على طرف الخط:

- حدثيني عن عملك يا "اليشيا".

عرضت "اليشيا" مشاكلها في العمل ونجاحاتها بهدوء أدهشها ولكن كيف تستطيع أن تخدع أصدقاءها المخلصين. سألها "جوليان" فجأة:

- ماذا هناك يا "اليشيا"؟ هل هناك متاعب مع الطفلين؟

- لا.. إنهما في منتهى الروعة.

تضخم قلب "اليشيا" أسى. ودت لو صاحت أو بكت أو تشنجت وانتحبت. رن صوت "سوزي" القلق والمخلص في سماعة التليفون:

- أخبريني بما يسير يا "اليشيا" أرجوك!

لم تعد "اليشيا" قادرة على الاحتفاظ بسرها أكثر من ذلك. تمخطت وانسابت دموعها وهمست:

- لقد تعرفت على رجل. رجل رائع!

صاح "جوليان":

- وماذا؟ انتظري.. هل أفهم من ذلك أنه أجمل مني؟ يا عزيزتي المسكينة. إن عدد الرجال الذين يتصفون بالرجولة مثلي نادر. ولكن لا تحزني ولا تنتبهي إلى "سوزي" وحماقاتها..

- إنه أجمل منك يا "جوليان" والطفلان يعشقانه وهو صبور ومرح للغاية وقضينا أسبوعا معه.

- هل هو متزوج؟

- إنه مطلق من سنوات طويلة وابنته في الحادية والعشرين وهي حيوية وقضت نهارا معنا.

- هل تحبينه يا "اليشيا"؟

- أوه.. نعم وهو يقول: إنه يحبني أيضا ولكن هناك مشكلة.

انقطع صوتها ثم قالت بصوت متقطع:

- إنه مريض بمرض عضال.. إنه سيموت.

- ولكننا جميعا سنموت يا "اليشيا" منذ لحظة ولادتنا ومقدر علينا أن نموت في يوم من الأيام. ليس هناك شخص مخلد.

- أعرف.. ولكن الموت بالنسبة له وشيك دون شك.

- كيف تقولين "دون شك"؟ هل لديه فرصة للشفاء؟ لاشك أنك فقدت صوابك. ماذا فعلت عندما صارحك بمرضه؟

- لا شيء.. لقد كنت مضطربة للغاية لدرجة أنني فقدت صوتي ولم أحس بأي رد فعل ولم أطلب منه العودة ولم أقل له إن هناك فرصا للشفاء، وأن الأطباء كثيرا ما يخطئون.. وهناك الطفلان لقد عانيا كثيرا بعد وفاة "جيم".

- ألم تفكري أنهما ربما سيكونان أفضل بدون أب؟ هل هما الآن سعيدان في غياب صديقك؟

كان الطفلان في الأيام الأخيرة قد أصيبا بالتوتر لدرجة الانفجار، وبدا تصرفهما وكأنه اتهام لها بأنها السبب في حرمانهما من "بيتر".

- اسمعيني يا عزيزتي "اليشيا". كفي عن تعذيب نفسك ويجب أن تعيشي يوما بيوم وألا تخافي من المستقبل. لو كان اليوم هو آخر يوم في حياتك ألا تفضلين أن تقضيه مع من تحبينه؟

تولد لديها أمل مجنون. لقد كان "جوليان" على حق ولكنها سألته في عصبية:

- ولكن ماذا إذا كان هو يرفض ذلك؟

- ما عليك سوى إقناعه.

عبرت ضحكات "اليشيا" عن مدى شعورها بالارتياح.

- حسنا.. حسنا.. ساطيعك. أنت رائع يا "جوليان"، وانت يا "سوزي".. انا أعشقكما.

- تشجعي يا "اليشيا" واطلعينا على الاخبار.

- هذا وعد مني.

تركت "اليشيا" الامل يغزوها. نعم ستحاول باقصى ما لديها من قوة أن تغري "بيتر" ان يشاركها المستقبل مهما كان قصيرا. اتصلت بمكتبها لتخبرهم عن تاخيرها. ثم اخذت سيارتها وانطلقت إلي مكتب "بيتر" وكانت هذه أول مرة تذهب إليه.

سالت موظفة الاستقبال عن مكتب السيد "رينولدز".

- الدور الثالث.

رات في الدور الثالث اسم "بيتر رينولدز" على لوحة معلقة على باب دخلت دون تردد.

رفعت السكرتيرة راسها وسالتها:

- هل عندك موعد معه؟

- لا ولكني اعتقد انه سيستقبلني. انا "اليشيا روسيل".

- اسفة يا سيدة "روسيل" ولكن السيد "رينولدز" ليس موجودا هنا. لقد اتصل بي هذا الصباح ليخبرني انه سيكون متغيبا طوال النهار. هل تحبين ان تتركي رقم تليفونك.

- لا.. شكرا.

خرجت "اليشيا" من المكتب محبطة. هل تحدد موعدا؟ لا إنها لا تستطيع الانتظار، ولكن ماذا تفعل؟ عندما أصبحت في الشارع رأت كشك تليفون عمومي واتخذت قرارها. اتصلت بـ"كارول" ولحسن الحظ كانت موجودة في مسكنها.

ردت:

- لا. لست اعرف اين يوجد ابي، ولكنه اخبرني بالأمس انه كف عن مقابلتك واحسست انه يائس. لست افهم ماذا جرى بينكما ومن رايي أن كلا منكما خلق للآخر. ابذلي مجهودا يا "اليشيا" من أجل سعادة ابي وسعادتك.

- سأحاول.

اتجهت مباشرة إلى بيت "بيتر". لم تشاهد سيارته ذات اللون المعدني في ساحة الانتظار: إذن هو ليس في بيته. حسنا.. ستنتظره ولو حتى المساء!

اخترقت السيارة الـ"بويك" ساحة الانتظار فارتجف قلب "اليشيا" عندما رأته. فتحت باب سيارتها واتجهت نحوه. وقف في مكانه عندما لمحها.

قالت له بلهجة حازمة:

- احبك يا "بيتر رينولدز" واريد ان اشاركك حياتك سواء لمدة يومين أو مائة سنة. انا احبك.

لم يتحرك ولم ينطق كلمة واحدة، ولاحظت شحوبه الشديد وتعبير الذهول على وجهه. تراجعت للخلف وهي مصابة بالهيستريا، كان يحمل تحت كتفه ملفا وعليه اسم المستشفى بحروف كبيرة سوداء. احست "اليشيا" بالدماء تتجمد في عروقها.

الفصل العاشر

- أريد مزيدا من الجاتوه يا أمي!

- تحدث بلغة سليمة يا "ديفيد" وقل: من فضلك هل استطيع أن احصل على قطعة أخرى من الجاتوه؟

- مزيدا من الجاتوه أريد يا أمي!

زفرت "اليشيا" أحيانا ما تخونها شجاعتها:

- لقد استسلمت يا "جوليان". هل يمكن أن تتدخل وتصحح قواعد اللغة لـ"ديفيد" وأخيه؟

- ليس اليوم يا عزيزتي. إنه عيد ميلاد "جيف".

- حسنا... لن الح.. خذ الجاتوه يا "ديفيد".

- هل يمكنني أن أعطي منه لـ"جيف" أيضا.

كان "جيف" وليد "سوزي" و"جوليان" طفلا سمينا مستدير الخدين وقد جلس بين ذراعي "اليشيا". لم يكن قد تعدى ثلاثة أشهر على مولده ولكن شهيته -حسب أقوال والديه- وصلت لشهية البالغ.

كانت "اليشيا" سعيدة لتتعرف على الطفل عندما حضرت "سوزي" و"جوليان" لقضاء أسبوع معها، كما انضم إليهم "كارول" واحد أصدقائها ويدعى "جون".

قالت "سوزي" وهي تجلس بجوارها:

- أنا أشعر بالأسف تماما؛ لأن "بيتر" ليس معنا.

- نعم وأنا كذلك. كان سيسعد أن يرانا جميعا حول المائدة من أجل هذا الاحتفال. لقد كان مشتاقا جدا لأن يرى الرضيع.

وصلت تلك الكلمات إلى "كارول". اقتربت في الحال وجلست على مسند الأريكة بالقرب من "اليشيا" ووضعت ذراعها على كتفها في حنان:

- لا تكوني حزينة.. يجب الا تكوني حزينة.

احتجت "اليشيا" بقوة:

- ولكني لست حزينة.

كانت كلماتها تبدو مزيفة وابتسامتها تنقصها الحيوية. أعلنت "كارول" بمرح مصطنع:

- أيضا.. أنا كذلك حزينة. آسفة لأن أبي ليس موجودا معنا من أجل عيد ميلاد "جيف".

صعدت الدموع عيني "اليشيا" فقالت "سوزي":

- ماذا حدث لك يا عزيزتي؟

www.liilas-security.com/vb

- إن "بيتر" وحشني كثيرا ولم اتعود على غيابه.

وصل أسماعهم -وكأنه رد على سؤالها- صوت جاد:

- هل احتفظتم لي بقطعة من الجاتوه؟

أطلقت "اليشيا" صرخة وأوشكت أن تسقط ومعها الرضيع وهي تسرع بالنهوض. نجحت في وضع الطفل بين ذراعي "كارول" وجرت للقاء "بيتر". دخل الصالون فصاحت

- "بيتر" يا حبيبي... "بيتر" يا حبيبي!

القت بنفسها عليه ووضعت راسها على كتفه القوية ثم أغمضت عينيها.. لقد عاد أخيرا بل إن عودته جاءت قبل الموعد المتوقع. اندفع الطفلان نحو القادم الجديد وهما يصيحان:

- بابا.. بابا!

ركع "بيتر" على ركبتيه وصعد الطفلان على كتفيه حتى أوشك أن يسقط. سالاه في صوت واحد:

- هل احضرت لنا الهدايا؟ لقد كنا عاقلين مثل الملائكة.. أليس كذلك يا "آدم"؟ ولم نزعج امنا ولم نرتكب حماقات.

كرر "آدم":

- نعم لقد كنا عاقلين.

- لقد اشتقت لكما كثيرا أيها الطفلان الظريفان! وقد أحضرت هدية تذكارية لكل منكما ولكن يجب أن أحيي ضيوفنا واتعرف على الطفل

ابتسم "جيف" في إشراق لـ"بيتر". اعتبره "بيتر" شيئا فاخرا ونقل إعجابه لوالديه.

كان قد تعرف على "جوليان" و"سوزي" من ثلاثة أشهر مضت يوم زواجه بـ"اليشيا" وحدث انسجام فوري بين الجميع.

قالت "سوزي":

- لحسن الحظ انك عدت بسرعة؛ لأن "اليشيا" استهلكت علبتي مناديل ورقية حتى الآن، ولو كنت مكانك لتخليت عن رحلات العمل هذه إن الزوجة المسكينة لا تتحمل بعد الزوج عنها.

- هذه أول مرة اتغيب فيها منذ زواجنا وصدقيني أنني عدت بأسرع ما يمكنني.

قالت "كارول" وهي تقبل والدها بانفعال جياش:

- أنا سعيدة لأنك استطعت الانتهاء بسرعة من عملك، وأحب أن اقدمك يا أبي إلى صديق لي هو "چون كارتر" إنه مصمم صناعي.

مد "بيتر" يده للفتى ووزنه بنظرة ويبدو أن الفحص كان لصالحه حيث امتدت المصافحة وقتا طويلا.

- منذ رحيلك يا أبي.. تحولت "اليشيا" إلى شبح.

أيدتها "اليشيا" بهزة من راسها.

كانت عيناها لا تتركان زوجها لحظة واحدة. إن السعادة بوجوده بجوارها كانت واضحة على وجهها.

- كيف كانت "أطلانطا"؟

- مدينة مثلجة ومهجورة.. لا يوجد أي روح فيها، وقد اشتقت إليك بدرجة قاسية يا عزيزتي وكنت اتمنى أن تكوني معي؛ لأنني بدونك لم أنم وقد أوحيت لشركائي أن يسرعوا بتوقيع العقد حتى أعود لأن أحد

ابنائي مصاب في عينه

- يالها من كذبة أو الأصح نصف كذبة. لقد اشتقت إليك كثيرا.

- وأنا كذلك.

وقفت "كارول" ويداها في وسطها وقالت:

- يجب أن تراعيا سلوككما .. وإلا ماذا سيظن "جون".

رد "جون" في مرح:

- إنني اخذت فكرة رائعة عن هذه الاسرة التي تنتمين إليها يا "كارول".

تاوه كل من "ديفيد" و"آدم":

- وماذا عن هداياتا .. هداياتا؟

حمل "جوليان" طفله وخرج ليلحق بزوجته "سوزي" في المطبخ وهو ينظر للعاشقين في حسد.

انقضى ما بعد الظهر في مرح لا ينقطع وبسرعة رهيبة. كان الطفلان متحمسين من الهدايا التي احضرها "بيتر"، ومنذ زواج "اليشيا" وجدت نفسها تميل إلى إعداد الأطباق اللذيذة في مطبخها الجديد، وكان "بيتر" يجيد الطهي ويساعدها كلما اتيحت له الفرصة. تناول الجميع الطعام في القاعة الكبرى التي لم يسبق ان استخدمت: حيث كان الطعام عادة يقدم في المطبخ المجهز بكل الوسائل الحديثة. وفي هذا المساء توالت الأطباق في فوضى كاملة.

رحلت "كارول" و"جون" بعد العشاء بقليل وهما يعدان بالعودة. ثم ذهب الطفلان ليناما دون احتجاج كبير، واخيرا نام الرضيع بعد أن

أنهكه اللعب والصراخ وحملته أمه إلى مهده الصغير.

سالت "سوزي" للمرة الألف:

- ألن يضايقكما أن نقضي الليلة هنا؟

رد "بيتر":

- كلا، بالتاكيد! لقد ظل البيت خاويا سنوات طويلة يسوده السكون التام. لا أستطيع أن أصف لكما إلى أي مدى اقدر الحركة والضجيج.

اخيرا ظهرت الحياة .. هنا ... الآن.

- بالتاكيد مع وجود الطفلين لن تشكو ابدا من السكون.

ابتسم "بيتر" وكانت السعادة مقروءة على وجهه، وكان ممسكا بيد "اليشيا" الجالسة بجواره.

أنهى الأربعة احتساء القهوة وانسحبت "سوزي" وزوجها بعد قليل ليناما، وأصبح "بيتر" و"اليشيا" بمفردهما في الصالون الفسيح فذهبا لحجرتهما.

###

كان الزوجان يضحكان من كل قلبيهما عندما استيقظا في الصباح واخذا حماما ساخنا .. لم يضعف حبهما منذ زواجهما من ثلاثة أشهر بل ازداد اشتعالا وعمقا.

سالته في دلال:

- هل اشتقت إلي؟

- اكثر مما تتصورين.

- أرجو الا تكون قد تطلعت إلى النساء الأخريات.

- أي نساء؟ لا يوجد نساء في "أطلانطا".

استانفت حديثها وهي تنظر إليه في وله:

- أراهن أنهن كن ينظرن إليك في افتتان.

ضحك ثم قال متهكما:

- ربما كانت هناك مئات الحسناوات ولكن ماذا افعل وانا جذاب ومليح؟

تجهم وجه "اليشيا" وهي تتذكر غيابه. لم تستغرق الرحلة سوى اربعة ايام ومع ذلك أحست بأن غيابه كان مؤلما أكثر مما تتصور.

- إنني أحبك يا عزيزي من كل قلبي.

***

غاصت نظرات "اليشيا" في عيني "بيتر" بلون الزمرد ولم تكف عن تأمله، وكانت يده تداعب شعرها بلا اكتراث.

قال لها:

- أحبك. ولم أكن أتصور في يوم من الأيام أن تواتيني الشجاعة أن ارحل في رحلة عمل.. ولذلك لن أرحل ابدا إلا وساصحبك معي.

- سيكون ذلك رائعا. إننا لم نفترق ابدا منذ زواجنا إلا في تلك الأيام الأربعة.

- إنني أعتبر أن عطلة نهاية الأسبوع التي قضيناها انا وانت والطفلان في الغابة هي رحلة شهر العسل الحقيقية.

- إنني أعتبرك أشجع رجل في العالم. فلا يوجد رجل يمكن أن يقبل أن يتكفل بارملة وطفلين يتيمين إلا إذا كان شجاعا او مجنونا.

- إنني كنت سأتزوجك حتى لو كان معك دستة أطفال، وانا لا اعتبر زواجي منك تضحية. إن ما فعلته لا يمكن أن يقارن بما فعلته في تلك الليلة التي أتيت فيها إلي واعلنت أنك لن تتركيني أبدا. لا توجد امراة يمكن أن تقبل أن تعيش مع رجل يعتقد انه مصاب بمرض قاتل.

- إذا كنت قد حضرت إليك فلم يكن ذلك بدافع من الشجاعة او الإخلاص. لقد كان قرارا انانيا بحتا. لقد كنت في حاجة ماسة إليك سواء كنت مريضا أم لا وكان علي أن أصحبك للأبد.

كنت أعلم أنني استطيع التصرف والعناية بطفلي. ولكن كان في حياتي فراغ رهيب وانت الوحيد الذي كان يمكنه أن يغطي هذا الفراغ.

- إنك لم تكوني قد عرفت بعد أنني تلقيت نتائج التحاليل من المعمل. حمدا لله.. فقد اكتشفت أنني لم أصب بذلك المرض الرهيب كما اعتقد الأطباء.

أغمض عينيه أمام هذه الذكرى. لقد كانت المحنة قاسية وقد مر بها دون أن تترك اثرا على نفسه. لقد أصبحت سعادته الآن أغلى من آلم الذكرى.

تذكرت "اليشيا":

- نعم.. لقد كنت لتوك قد علمت أن مرضك من النوع الحميد القابل للشفاء ولكني عندما رأيتك وعلى وجهك ذلك التعبير الذي لم استطع فهمه أصابني رعب يعلم الله وحده مدى فظاعته.

- لقد كان الأمر غريبا. ففي الوقت الذي علمت من الأطباء النبأ السعيد كنت واقفة على بابي في لهفة ومستعدة لمصاحبتي كل الطريق

سواء كنت مريضا أم سليما. إنني أحبك يا عزيزتي. لقد أحببتك منذ أول لحظة وقعت فيها عيناي عليك وأنت تتخبطين وسط الظلام والعاصفة. لقد علمت لحظتها انك انت فقط التي كنت انتظرها منذ زمن طويل جدا، وانه علي ان استسلم لك حتى قبل ان اعرفك جيدا وبدون قيد أو شرط.

قالت وهي تحاول ان تكتم انفعالها:

- مع انك اخبرتني ان او ل شيء رايته في هو ظهري وانا منحنية على صندوق العدد وليس عيني الجميلتين كما تدعي.

أبتسم "بيتر" وقرر عدم الرد.

تمت

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعرّبة
للروايات العاطفيّة العالميّة

روايات عبير

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحيّة وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات عبير

نعم..

إنّها أشهر الروايات العاطفيّة..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك يتيح لك هذه الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات عبير.

نعم جميعها ومعرّبة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمن (٦) ست روايات (١٠) عشرة دولارات أميركيّة، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات وتحصل على رواية إضافيّة مجانيّة.

ترسل الطلبات بموجب شيك مصرفي مسحوب على أي مصرف في لبنان وبالدولار الأمريكي ، ودار ميوزيك لا تتحمّل مسؤوليّة إرسال أي مبالغ نقديّة داخل الرسائل ! وتكتب عبارة " يصرف للمستفيد الأول فقط "